الحياة الفكرية والثقافية لمدينة هراة فى العصر التيمورى
(771 – 912 هـ / 1370 – 1506 م)

الدكتورة
نجوى كمال كيرة
مدرس التاريخ الإسلامى
بكلية الآداب جامعة المنصورة

الحياة الفكرية والثقافية لمدينة هراة فى العصر التيمورى

مقدمة

تنتمى الدولة التيمورية إلى مؤسسها الأمير تيمور الجرجانى الملقب بتيمور لنك[1] (736هـ- 807هـ/ 1335م -1405م). وتمتد تلك الدولة التى نجح تيمور لنك فى ضم مناطق إليها شملت مناطق من الهند وأفغانستان الحالية وكل بلاد ما وراء النهر وخراسان والعراقين وجنوب القوقاز وبعض أجزاء من الشام وشرق الأناضول وغيرها[2]، وكانت سمرقند[3] عاصمة الدولة التيمورية وظلت تلك الدولة قوية ومتحدة إلى أن أصابت تيمور لنك المنية فانقسم أبناؤه وأحفاده طمعاً فى السلطان والاستئثار بحكم البلاد[4]، مما أدى إلى ضعف الدولة وتداعيها وانهيارها سنة (912هـ/ 1506م)[5].

ومن أقوى الأسباب التى أدت إلى زوال الدولة التيمورية عدم سن قانون أو نظام يحكم انتقال العرش من سلطان إلى سلطان آخر وإنما اعتلى العرش من كانت له الغلبة والقوة اعتماداً على مبدأ البقاء للأقوى، فكان على رأس كل إمارة أمير يحكمها فإذا ما استطاع التغلب على منافسيه ضم إمارة من غلبه... وهكذا، مما أدى إلى تفشى روح الانفصالية والصراع الداخلى على السلطة حتى انتهت تلك الدولة على يد الأوزبك[6] فى مطلع القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى[7].

وقد خلف تيمور لنك أربعة أبناء يمثلون الأسرة التيمورية، استطاع معين الدين شاه رخ ميرزا[8] أصغر أبناء تيمور لنك الأربعة (ت 851هـ/ 1447م) أن ينتزع الحكم من ابن أخيه محمد بن جهانكير ميرزا وتولى هو الحكم وسيطر لمدة تسع وأربعين عاماً هى مدة

حكمه على مختلف أجزاء هذه الإمبراطورية الواسعة باستثناء أعالى بلاد الشام والأناضول واتخذ من هراة[9] عاصمة له أنشأ فيها حضارة متميزة بعد تركه سمرقند عاصمة أبيه وكان بحق راعياً للعلوم والفنون مما حدا بالمؤرخين أن يطلقوا على عهده العهد الذهبى لهذه المنطقة لما بلغته من رقى فى مختلف نواحى الحضارة[10].

وبعد وفاة شاه رخ اعتلى ابنه أولغ بك (850هـ/ 1446م) عرش البلاد واتخذ من سمرقند عاصمة له متبعاً نهج جده تيمور لنك ووجه اهتمامه أيضاً إلى العلوم وخاصة علم الفلك والنجوم إلى أن قتل على يد ابنه عبد اللطيف (853هـ/ 1449م)، ولم يمكث عبد اللطيف كثيراً بعد أبيه فقد قتل بعده ببضعة أشهر هو الآخر فتولى عبد الله ميرزا أحد أحفاد شاه رخ حكم سمرقند وتولى أبو سعيد ميرزا بن محمد ميرزا بن ميرانشاه بن تيمور لنك حكم بخارى إلى أن انتزع سمرقند من عبد الله وضمها إلى بخارى، ثم قتل هو الآخر (873هـ/ 1468م) على يد أوزون حسن أحد زعماء التركمان، فانقسمت الدولة التيمورية فيما وراء النهر بين أبنائه وحدثت منازعات شديدة فاعتلى ابنه الأكبر السلطان أحمد ميرزا عرش سمرقند وما حول بخارى واعتلى أخاه محمود ميرزا ما حول بدخشان ويدخل فيها المنطقة الواقعة بين هندكوش وجبال حصار[11]، أما الابن الثالث عمر شيخ ميرزا والد بابر فكان له حكم بخارى وما حولها، أما الابن الرابع أولغ بك ميرزا فكان له كابل[12] وغزنه وتزامن ذلك مع حكم السلطان حسين بايقرا[13] (875-912هـ/ 1470-1506م) أحد أحفاد عمر شيخ ميرزا خراسان واتخذ من هراة عاصمة له[14].

فتح هراة عام 876هـ/1468م واعتلاء السلطان حسين بايقرا العرش:

دخل السلطان حسين بايقرا فاتحاً مدينة هراة سنة 873هـ/ 1468م، وذهب السادة والقضاة والأعيان لمقابلته والترحيب به وقرئت الخطبة له، وسكت العملة باسمه فى هراة، وجلس بذلك على عرش خراسان كلها بدون منازع حيث امتد سلطانه من هراة إلى خراسان وسجستان[15] وبلاد الغور[16] حتى سنة 912هـ/ 1506م، وقام منذ اللحظة الأولى لاعتلائه الحكم فى تنظيم شئون دولته داخلياً وخارجياً، فبلغت هراة فى عهده أقصى درجات الحضارة والرقى، وعصره كان من ألمع عصور الدولة التيمورية على الإطلاق[17]، فقد كان شاعراً تجمع فى عهده العديد من العلماء والفنانين، وساعده على ذلك وزيره الأمير نظام الدين على شيرنوائي[18] (844-906هـ/ 1440-1500م).

وفاة السلطان حسين بايقرا:

مرض السلطان حسين مرضاً شديداً ولم يمتثل لأوامر الأطباء بالراحة بل سارع لقمع بعض الفتن والاضطرابات فى البلدان المجاورة لهراة، مما ساعد على اشتداد المرض عليه فتوفى عند منطقة تسمى باب إلهى بالقرب من هراة سنة (912هـ/ 1506م). ودفن عند قبة المدرسة السلطانية التى كان قد بناها لهذا الغرض[19].

وفى هذه الدراسة محاولة لتبيان كيف أن التيموريين[20] أحفاد المغول استطاعوا إصلاح ما دمره أجدادهم واحتضنوا الحضارة الإسلامية وارتقوا بها حتى أصبحت مثار عجب ودهشة مؤرخى تلك الحقبة الزمنية الهامة[21]، ولا تزال منشآتهم الحضارية قائمة إلى الآن شاهدة على عظمة وروعة الفن الإسلامى ورقى الحياة الفكرية والثقافية فى هذا العصر وفى هراة وعلى وجه الخصوص فى عصر التيموريين وهو موضوع هذا البحث. وكأنما تريد تلك الآثار التى شيدت فى عصر التيموريين أن تنطق اعتذاراً لمسلمى كل العصور على ما أفناه أجدادهم المغول من حضارة الإسلام.

جغرافية هراة:

كثر الحديث عن أفغانستان[22]، وتعددت الآراء والمقولات حول تاريخها – ماهيتها– إسلامها، كما تحدثت المصادر عن كونها بقعة تفتت على أرضها العديد من الإمبراطوريات القديمة، هذا بالإضافة إلى أن موقعها الاستراتيجى فى قلب آسيا جعلها ملتقى للقوافل التجارية المارة من الشرق إلى الغرب والعكس[23]، وأيضاً كان لهذا الموقع أثر كبير فى مرور بعض غزاة العالم فى أرضها وجرى على هذه الأرض بعض المعارك التاريخية الحاسمة. كما احتضنت العديد من العلماء والمصلحين والمؤرخين، وانصهرت على أرض أفغانستان العديد من الحضارات والثقافات الإيرانية والهندية والصينية[24].

وقد كانت أفغانستان قديماً جزءاً من بلاد الفرس وجزءاً من الهند، ثم خضعت لحكم التيموريين خلال القرن الثامن الهجرى، ثم انقسمت بعد ضعف الدولة التيمورية.

ومدينة هراة من أهم مدن أفغانستان، وتقع بالقرب من حدود فارس غرب أفغانستان، وكانت قد خربت فى عهد السلاجقة فى أثناء حروبهم مع الغزنويين[25].

وهى تقع فى الشمال غرباً إلى آخر الجزء فى أوسط خراسان وتنتهى خراسان هنالك إلى

نهر جيحون[26]. وقد أفاض المؤرخون فى وصف هراة فقيل عنها: "هى ثغر إسلامى وقبة الإسلام"[27]. كما وصفها ابن بطوطة[28] بأنها "كبيرة عظيمة كثيرة العمارة ولأهلها صلاح وعفاف وديانة، وهم على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه، وبلدهم طاهرة من الفساد".

لغة السكان:

يصل عدد اللغات فى أفغانستان فى الفترة محل الدراسة إلى عشرين لغة واللغة السائدة هى الفارسية وتسمى عندهم لغة "الدري" وهى لغة فارسية قديمة يتكلم بها التاجيك فى هراة[29]، وهى خليط من الأردية والإنجليزية[30] والعربية والفارسية والتركية، وتنتشر فى كل بلادهم، وقد تأثرت هذه اللغة باللغة الهندية والكلمات المستعارة منها أثرت فى المفردات والنحو وهناك أيضاً كلمات كثيرة عربية وتركية.

الأصول العرقية لسكان هراة:

سكان هراة مثل العديد من شعوب العالم الأخرى خليط من عناصر بشرية متعددة قدمت إلى أفغانستان فى فترات متعاقبة من التاريخ واستقرت فيها واتخذتها موطناً ومقاماً، وينقسم سكان أفغانستان بصفة عامة إلى مجموعات رئيسية هى الأفغان، التاجيك والفرس والمغول الترك سكان هندوتش الهنديين الآريين. وفى هراة تسكن جماعة التاجيك وهم من الجنس القوقازى من أصل إيرانى ويعملون بالزراعة والصناعة، ويتحدثون الفارسية ويطلق عليهم أحياناً البارسيوانية أو "الدهكانية" و"الدهوارية" فى الشرق والجنوب وهم قرويون وكذلك تسكنها قبيلة هزارة وهم من أصل منغولى يتبعون المذهب الشيعى ويتكلمون لغة هى خليط من التترية والفارسية وهم رعاة يتصفون بالأمانة والشجاعة[31]. وقبيلة جهار إيمان وجماعة البشتون التى تعيش أغلب قبائلها فى الولايات الشرقية والجنوبية الشرقية من أفغانستان وفى هراة وسجستان. وتتميز قبائل البشتون بالشجاعة وقوة التحمل والميل إلى الحياة الخلوية الهادئة، ويعشقون الحرية وهم يميلون إلى سكنى الجبال ويتكلمون لغة البشتو. كما يسكنها البعض من جماعة الأوزبك، وهم زراع ماهرون عرفوا بالجد والمسالمة[32]، وعلى وجه العموم فقد اشتغل أغلب سكان هراة بالرعى والفلاحة[33].

الفتح الإسلامي لهراة:

دخل الإسلام هذه المناطق من آسيا فى وقت مبكر من تاريخ الدعوة الإسلامية بعد فتح نهاوند الذى سمى فتح الفتوح فى عام (21هـ/ 641م) فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى عقد بيده للجهاد سبعة ألوية لسبعة من القادة عهد إليهم بالانسياح فى أرض فارس وخراسان سنة (23هـ/ 643م)، وكان من بين هذه الجيوش جيشان اتجها نحو المنطقة التى سميت بعد ذلك أفغانستان. الأول منها سار نحو منطقة سجستان، وعلى رأسه عاصم بن عمر التميمى والثانى سار نحو منطقة خراسان تحت قيادة الأحنف بن قيس[34]. لكن الفتح الحقيقى كان فى عهد الخليفة عثمان بن عفان بعد مقتل يزدجرد إمبراطور الفرس وآخر ملوك الساسانيين واتخذها المسلمون قاعدة لهم انطلقوا منها لاستكمال فتوحاتهم فى باقى أقاليم خراسان[35].

ففى عام (29هـ/ 649م) كانت هراة قد نقضت على الخليفة عثمان بن عفان فأرسل إليها جيشاً جراراً على رأسه خالد بن عبد الله بن زهير لإخضاع تمرد حاكم هراة المدعو كثمود الذى اضطر إلى قبول الصلح مع خالد عن هراة وبادغيش وبوشنج[36] وقادس[37] وهى توابع هراة وذلك عن مبلغ ألف ألف درهم دفعها له كجزية عن بلاده وبعد فترة أرسل عثمان صبره بن شيمان الأزدى إلى هراة لاستتباب الأمن بها حتى أصبحت أهم مناطق الدولة الإسلامية وكانت تدعى دار الملك[38].

وفى سنة (31هـ/ 651م) توجه عبد الله بن عامر وعلى مقدمة جيشه الأحنف بن قيس إلى هراة ولقيا أهلها وهزموهم لنكثهم المستمر، ثم تمكن من إخضاعها على قبول الجزية. وقدرها مليون درهم بعد سلسلة من الحروب استشهد فيها الكثير من المسلمين[39].

وقام العرب المسلمون بنشر الإسلام والتعريب بهراة وحدثت مصاهرة وتزاوج بين القبائل العربية والنساء الهراتيات فنشأ جيل جديد سمى الأبناء أو المولدون مزج بين الدم العربى والفارسى وامتازوا بالشجاعة والإقدام وانتشر القرآن الكريم واللغة العربية نتيجة الفتح العربي[40]. وقد أدركوا حقيقة الإسلام وماهيته وقارنوا بين أحكامه وشرائعه وبين الديانات التى كانوا يعتنقونها والتى كانت تحفل بالعنصرية واستبداد الكهنة أصحاب هذه الديانات وخضوع الشعب لنظام طبقى صارم وظالم فرض عليهم

فأصبحوا من أشد المسلمين إيماناً بالإسلام ودفاعاً عنه واستقر الإسلام فى وجدانهم خاصة على يد الحجاج بن يوسف الثقفي[41].

وكانت الفتوحات الحقيقية فى عهد الوليد بن عبد الملك الذى بويع بالخلافة عام (86هـ/ 705م) وفى عهده آل أمر خراسان وما حولها إلى قائده قتيبة بن مسلم الباهلى عام (88هـ/ 706م) فثبت دعائم الإسلام هناك[42].

هراة بعد الفتح الإسلامى:

تعاقبت الأسر الإسلامية الحاكمة على خراسان وكانت هراة جزءاً منها فكانت الأسرة الطاهرية (205-259هـ/ 820-872م) التى أسسها طاهر بن الحسين الذى عمل قائداً لجيش المأمون العباسى فى حربه مع أخيه الأمين، ولما انتصر فى تلك الحرب كافأه المأمون بتعيينه على خراسان وتبعه خلفاؤه وكانت هراة جزءاً منها[43].

ثم خلّف الطاهريون الصفاريين (254-290هـ/ 686-902م) ومؤسسهم يعقوب بن الليث الصفار الذى عين والياً على خراسان وهراة سنة (253هـ/ 867م)، ثم زالت هذه الدولة بسبب جهود الخلافة العباسية المتصلة للقضاء عليها والهزائم المتكررة التى مُنى بها الصفاريون من أعدائهم السامانيين[44].

وتبعت الدولة الصفارية دولة السامانيين (261-289هـ/ 874-998م) نسبة إلى مؤسسها أسد بن سامان والذى كان له أربع أولاد نوح وأحمد ويحيى وإلياس الذى عين أميراً لهراة[45]. ثم انقرضت الدولة السامانية لتحل محلها الدولة الغزنوية فى غزنة (351-582هـ/ 962-1186م)، فاستمرت هراة تؤدى دورها كمركز من مراكز العلم والثقافة فى عهد الدولة الغزنوية أيضاً، والتى تأسست فى غزنة على يد صاحبها عبد الملك السامانى وبعد وفاته تولى الأمير سبكتكين الحكم واعتلى حكم هذه الدولة 23 سلطاناً، وكانت هراة ثانى مدن الغزنويين ومن سلاطينها السلطان محمود الذى عين ابنه السلطان مسعود أميرا على هراة[46]. وتبعت الدولة الغزنوية فى هراة دولة السلاجقة (447-590هـ/ 1055-1193م) التى فرضت نفوذها على هراة[47]. وقد دخلوا فى الإسلام معتنقين المذهب السنى وكانوا شديدى الإخلاص لدينهم، وبعد وفاة زعيمهم سلجوق قبض محمود الغزنوى على أرسلان السلجوقى زعيمهم بعد سلجوق فاتجهوا إلى خراسان

وبعد وفاة محمود ومصادمات عديدة مع ابنه مسعود هزمه السلاجقة، واستولوا على بلاد إسلامية كثيرة خاصة فى فارس وضموا هراة إلى دولتهم[48].

وقد أعقب السلاجقة الغوريون[49] (401-601هـ/ 1010-1204م) وكانت هراة جزءا من مملكتهم حتى أصبحت عاصمتهم الذاخرة بالعلم والثقافة إلى أن استولى الخوارزميون (590-628هـ/ 1193-1231م) [50] على مدينة هراة وقامت الدولة الخوارزمية على يد محمد بن أنوشتكين المعروف بمحمد خوارزمشاه وولى علاء الدين محمد ابنه السلطنة، وذلك بعد أن قام بعدة فتوحات منها تطهير هراة من بقايا الغوريين[51] وتشتيت شملهم وطلب والى هراة الغورى الدخول فى طاعة السلطان الخوارزمي[52] فأبقاه فى هراة، وفرض عليه غرامة مالية فتعسف مع الناس فى جباية الأموال، ولما علم السلطان بذلك تنازل عن الأموال التى قررها فى الصلح مقابل رفع الضرائب عن الناس[53]، ثم توالت الأحداث بسقوط هراة فى يد المغول (617هـ/ 1220م)[54].

المغول وهراة:

من المعروف أن القبائل المغولية قبائل بدوية تسكن إقليم منغوليا فى هضبة آسيا المركزية والشرقية، وكانت هذه القبائل لا تمت للحضارة بصلة، مما عكس المظهر الوحشى الذى اتسمت به، وكانت لهم نزاعات قبلية متعددة فيما بينهم حول منابت العشب والكلأ، فقد كانوا يعيشون عيشة رعوية يرتحلون من مكان إلى مكان آخر بحثاً عن أسباب العيش[55].

وقد لعبت الظروف دوراً هاماً فى توالى الأحداث التى أدت إلى اجتياح جيوش المغول ديار الإسلام[56].

وكانت هراة كغيرها من البلاد - فى القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادي- قد نكبت بهجمات المغول[57].

وقد ظهر اسم المغول أو التتار ظهوراً واضحاً منذ بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادى عندما وحد تيموجين أو جنكيزخان[58]، منغوليا ووحد المغول تحت

لوائه[59] وزحف على شمال الصين (612هـ/ 1215م) واتخذ مدينة قراقورم[60] عاصمة له وأصدر دستوره المسمى باليساق[61]، معلناً عن تنظيم دولته واتجه بعد ذلك بعامين غرباً إلى آسيا الوسطى ومنها إلى بلاد الإسلام واجتاح دولة الخوارزميين حتى استطاع القضاء عليها، ثم واصل زحفه إلى الخلافة العباسية، ثم بلاد ما وراء النهر[62].

ودمر جنكيزخان هراة بجيش قوامه ثمانين ألف مقاتل وقتل أهلها على مدى ستة أشهر ولم ينج منهم سوى أربعين شخصاً ثم دمرت مرة أخرى فى القرن الثامن الهجرى، الرابع عشر الميلادى فى عهد تيمور لنك حتى جاء ابنه شاه رخ فعمرها من جديد[63]. ولقد أردت بهذه الدراسة أن أستجلى حقائق هامة قد تكون غائبة، فبرغم كثرة الدراسات التى تناولت حياة المغول والتيموريين، إلا أننى أود أن أظهر حقيقة هامة وهى أن الإسلام استطاع وسط مختلف الديانات أن يجذب ملوكاً شرسين لأمة رعاياها متوحشين فيروضهم، وينقى نفوسهم ويسبغ عليهم طابع الحضارة والرقى والإنسانية بعد الجهل والعنف والوحشية التى اتسموا بها، ويجعلهم يصبحون رعاة لأحكام الدين الإسلامى ويطوعهم لخدمة هذا الدين وتنفيذ أحكامه بدقة وإحكام بل ويزودون عنه ويدافعون.

لقد أتى هؤلاء المغول من أعماق آسيا فى جيوش بربرية غمرت بلاد المشرق الإسلامى كلها، وأذلوا شعوبها الإسلامية وحطموا، وقتلوا وسبوا وأحاطوا بالخلافة العباسية، وأخضعوا معظم المسلمين لحكم بربرى وثنى مدة من الزمان، نود أن ننساها أو نتناساها، فمن منا لا يكره مجرد ذكراها؟!. فحين نقرأ كتابات مؤرخى العصر وما صوروه من قتل وتدمير وحرق وشق لبطون الحوامل وقتل للأجنة ورعب النفوس والخراب والدمار أينما حلُّوا، نراه زلزالاً مدمراً أحدثته قوة جامحة أتت على الأخضر واليابس، وأهلكت الحرث والنسل وحين نقرأ ذلك ونقرأ بعد ذلك كيف تمكن الإسلام من نفوس هؤلاء وحولهم إلى حماته لا نملك إلا أن نخر ساجدين لله سبحانه وتعالى، نعم فإنه سبحانه على كل شيء قدير.

فكيف ومتى كان هذا التحول العظيم؟ وما هى العوامل التى ساعدت على تمكن هذا الدين من نفوسهم رغم منافسة البوذية والنصرانية له حتى يتم لأصحاب هذه الأديان تقويض الإسلام شرقاً وغرباً للقضاء عليه قضاءاً نهائياً، وهذا سر من أسرار قوة الإسلام وعظمته فهو دين طواعية.

فقد أصبح لهذه القوة الرهيبة المتسعة وضعاً خطيراً، إذ أنها جاورت أملاك الدولة الخوارزمية[64] (590-628هـ/ 1193-1231م) فى وقت كانت فيه القوة غير متكافئة حين كان الخوارزميون مشتتون فى اتجاهات عديدة[65].

ثم حدث ما أثر على العلاقات بين القوتين المتجاورتين المغولية والخوارزمية حين وصلت قافلة تجارية إلى مدينة أوترار على نهر سيحون مفتاح التجارة بين شرق آسيا وغربها، البعض يذكر أن نائب السلطان ويدعى ينال خان طمع فى بضائع القافلة وشكك فى أن هؤلاء التجار جواسيس وقام بقتلهم جميعاً، والبعض من المؤرخين يذكر أن السلطان أمره بقتلهم جميعاً لأنهم جواسيس فعلاً[66]. فثار جنكيز خان وطلب من السلطان محمد تسليم ينال خان إليه ليجازيه حقناً لدماء المسلمين إلا أن السلطان محمد رفض لأن ينال خان خاله أو ابن خاله بل وقتل السلطان جميع الرسل الذين قدموا إليه فكانت مذبحة مروعة أوقدت نار الحرب بين المغول والمسلمين الذين أعمل فيهم القتل والحرق والذبح والتدمير[67].

ووصلت جحافل المغول على مدينة أترار مفتاح ما وراء النهر انتقاماً من هذه المدينة التى شهدت مذبحة التجار فسقطت المدينة وسقط وراءها باقى المدن[68] حتى وصلوا إلى هراة آخر مدينة من مدن خراسان وكان قائد جيوش المغول فيها هو تولوى ابن جنكيز خان الذى نكث وعده لحاكم المدينة فى التسليم مقابل تأمين الأرواح وقتل اثنى عشر ألف شخصاً من أتباع السلطان جلال الدين ثم أعملوا القتل فى الأهالى لمدة شهر ونهبوا الأموال وسبوا الحريم كما أحرقوا المكتبات وهدموا المراكز الثقافية[69]. وقيل إنه لم ينج من أهلها سوى أربعين شخصاً وذلك سنة (619هـ/ 1222م)[70]. ونتيجة تدمير المغول لهراة أن قضوا عليها كمركز من مراكز العلم والإشعاع الحضارى مما كان له أثر سيئ على الحضارة الأفغانية وثقافتها الإسلامية فى ذلك الوقت[71].

وبعد موت جنكيزخان (625هـ/ 1227م) خلفه هولاكو (654-663هـ/ 1256-1265م) وبدأت الإمبراطورية المغولية تضمحل وتنقسم وقامت دويلات مستقلة فى أفغانستان وغيرها وبعضها كان يؤدى الجزية للمغوليين، وقد تمكنت إحدى القبائل التاجكية من خوارزم والتى تسمى (كرت) بالاستقلال بحكم أفغانستان لمدة قرنين

تقريباً. وكان ملوك آل كرت من ملوك إيران الشرقيين الذين هم بقايا سلاطين الغور حكموا فيها من النصف الأول للقرن السابع الهجرى حتى أواخر القرن الثامن أى فى الفترة الفاصلة بين الحكم المغولى والحكم التيموري[72]، واستقر آل كرت فى هراة التى ظلت عاصمتهم طوال فترة حكمهم، وقد خلفوا سمعة طيبة فى الحضارة الإيرانية، فقد انتهزوا فرصة ضعف الجنكيزيين فى خراسان، وقاموا بالإعلان عن ملكهم وأنقذوا مدينة هراة مدينة العلم والتمدن من الخراب، وكان هؤلاء مثل ملوك الغور من ذوى الفضل والأدب يحبون العلم ويرعون العلماء. رمموا مسجد هراة ولجأ إليهم العلماء الذين غادروها هرباً من المغول وعاشوا فى رعايتهم وحمايتهم. وأول ملوكهم ركن الدين بن تاج الدين الذى تزوج بابنة السلطان غياث الدين الغورى، وعين من طرف السلطان حاكماً لقلعة خيسار وهى من القلاع التى تقع على الحدود بين هراة والغور.

واختار الملك ركن الدين قبل وفاته حفيده وابن بنته شمس الدين محمد بن أبى بكر الذى اشتهر هو وأبوه باسم كرت خلفاً له وشمس الدين هو مؤسس أسرة آل كرت وصار الملك شمس الدين من (648هـ/ 1250م) حاكماً مستقلاً لهذه البلاد، وفى عهد هولاكو حين قدم لاستئصال الإسماعيلية[73] كان شمس الدين أول من حلف لأداء فروض الطاعة له[74]. ثم آل حكم هراة إلى التيموريين، وهنا يجب أن نذكر حقيقة هامة وهى أنه رغم أن المعروف عن الحكام المغوليين والتيموريين أنهم كانوا مدمرين وسفاكين للدماء .. دمروا المدن الإسلامية التى دخلوها، وقضوا على مظاهرها الحضارية وقتلوا العديد من المسلمين سكانها بعد أن نهبوا هذه المدن واستولوا على خيراتها لكن غفل الكثير عن أن سلاطين المغول والتيموريين كان لديهم شغف بأسباب الحضارة وولع بالعلوم والفنون المختلفة فتذكر د. شيرين عبد النعيم[75]: "أنهم أولوا علم الرياضة اهتماماً كبيراً للمساعدة فى ضبط مملكتهم، كما اهتموا بالطب للحفاظ على أنفسهم أصحاء، وكذلك علم الفلك لرصد المواقيت وتحديد أنسب الأوقات لغزو البلاد ومهاجمتها، فكانوا إذا دخلوا أحد البلاد أبقوا على علمائها وصناعها وفنانيها ويصطحبونهم معهم إلى حيث شاءوا" [76].

إسلام المغول وأثره على الفكر والثقافة:

كثر الحديث وتعددت الكتابات عن وحشية المغول وتدميرهم لبلاد الإسلام، والخراب الذى أحدثوه.. ونحن هنا لا ننكر ما فعلته تلك القبائل البدوية التى لا تنتمى لأى حضارة، ولا ندافع عن وحشيتهم، ولكن السؤال ألم تكن تلك الوحشية هى سمة العصر؟ إن القتل وسفك الدماء والتخريب والتدمير كانت سمة التعامل بين العدو وعدوه فى ذلك الوقت. فهل هؤلاء بعد أن عادوا إلى الله وتابوا وأصلحوا لا ينصفهم التاريخ بكلمة حق؟

فلم يلبث أمراء المغول من أبناء جنكيز خان وأحفاده أن اعتنقوا الإسلام، وصاروا من أكبر المدافعين عنه والمتحمسين لنشره[77]، مما مهد السبيل للتيموريين أن يسيروا على خطاهم وكان استقرار سلاطين المغول فى بلاد فارس سبباً مباشراً من أسباب تأثرهم بالحضارة والثقافة الفارسية، وساعد عدم تعصبهم لوثنيتهم على سرعة اعتناقهم للدين الإسلامى، وصاروا دعاة للإسلام ساهموا فى نشر تعاليمه وبنوا العديد من المساجد والمدارس الدينية والعلمية[78].

وسرعان ما عمروا ما خربه آباؤهم وأجدادهم مما ساهم فى قيام نهضة حضارية رفيعة المستوى وأصبحت عواصم ملكهم كتبريز[79] ومشهد[80] وهراة وسمرقند مراكز للعلوم والآداب والفنون يفد إليها العلماء والأدباء فى مختلف مناحى العلم. كما أنهم لم يبخلوا بجهد أو مال للإنفاق على هذه المراكز العلمية حتى ازدهرت العلوم العقلية والدينية وانبرى العلماء فى تأليف العديد من المؤلفات فى الرياضة والطب والفلك والتاريخ والتفسير والحديث والفلسفة والمنطق واللغة والتصوف[81] كما سيأتى.

وكان ملوك دولة المغول التى حكمت إيران قد سموا باسم الإيلخانيين[82]، وكانوا يعتنقون الديانة الوثنية دون تعصب، وكان أول ملوكهم "أباقا خان" تولى (660هـ/ 1261م) أول من ضرب النقود بالعربية رغم كونه على وثنيته، وكتب على أحد وجهيها "القآن الأعظم أيلخان المعظم زيد عظمتها" فى المتن، وفى الحاشية كتب عبارة "لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم"[83].

وأول من أسلم من ملوك التتار بركة خان "سلطان القبيلة الذهبية"[84] فى بلاد القفجاق[85] (653هـ/ 1255م)، والذى ناصب هولاكو العداء وهدده وتوعده لغزوه بغداد وتدميرها وتخريبها وقتل أهلها[86].

وأول ملوك الإيلخانيين الذين اعتنقوا الإسلام "أحمد تكودار"[87] الابن السابع لهولاكو الطاغية إيلخان مغول إيران وقد اتفقت المصادر العديدة على موت هولاكو كافراً[88] – رغم ضغوط أمه المسيحية وزوجته "دوقوز خاتون" التى كانت مسيحية أيضاً، وكان لها تأثير شديد ونفوذ فدفعته إلى أن يظهر عطفاً شديداً على المسيحيين[89] – إلا أن ابن الساعى والهمذانى قد أكدا على إسلامه قبل وفاته بشهرين، ثم ظهرت إحدى الدراسات الحديثة[90] التى أكدت على إسلامه قبل وفاته مستندة على أن ابنه تكودار أسلم وزوجاته كن مسلمات وكذلك الأمير "طرغاى" زوج ابنته وابنته أسلما. كذلك تذكر الدراسة أن هولاكو كان يشمل برعايته اثنين من كبار المسلمين فى زمانه، أحدهما نصير الدين الطوسى وعمل مستشاراً ووزيراً له وكان مسموع الكلمة عنده وكان من العلماء البارزين فى شتى العلوم فى عصره.

ووطد ابن هولاكو "أحمد تكودار" بعد اعتناقه الإسلام صلته بعلماء المسلمين، وأعلن حمايته للدين الإسلامى وأنه أحد أتباع الرسول (ص) وحول العديد من المعابد والكنائس إلى مساجد وزاد عليها، وأقام الشرع الحنيف مما قرَّب المسلمين إليه وعمل على تبديل إلياسا الجنكيزى بالقرآن الكريم والسنة النبوية[91]. وجعل أحد الشيوخ وهو كمال الدين عبد الرحمن الرافعي" شيخاً للإسلام وجعله مسئولاً عن الأوقاف فى البلاد كلها وبذل السلطان جهدا كبيراً فى إقناع المغول بأن يدخلوا فى الإسلام لكنهم تمسكوا بديانتهم البوذية، ولكنه لجأ إلى ترغيبهم فيه بأن أعطى لهم الهبات والألقاب والمنح مما شجعهم على الدخول فى الإسلام، وراسل السلطان المملوكى قلاوون[92] (679-784هـ/ 1279-1282م) وأعلن له عن رغبته فى التعاون لنشر ودعم الدين الإسلامي[93] مما أثار حفيظة المغول عليه فقتلوه[94]، ولم يؤثر ذلك فى ازدياد أعداد المغول المعتنقين للإسلام وتزايد عددهم وكونوا حزباً استطاع مساعدة "غازاخان" سادس سلاطين المغول الذى كان قد اعتنق الإسلام فى بداية سنة (694هـ/ 1294م) وتسمى باسم محمود وذلك قبل أن يلى

عرش البلاد [95] نهاية السنة نفسها (694-703هـ/ 1294-1303م) وبذلك أعلن الإسلام ديناً رسمياً للبلاد، وأسلم معه جميع الأمراء وأقيمت الاحتفالات وتبارى الناس فى أداء العبادات وغير المغول زيهم فلبسوا العمامة كشارة مميزة لهذا التحول، وفرض على أهل الذمة الظهور بملابس مميزة تميزهم عن المسلمين، وأمر هذا السلطان باتباع الشريعة الإسلامية والعمل بأحكامها وهدم الكنائس والأديرة وهدم أصنام البوذية وأثنى البوذيين عن ديانتهم، وطلب منهم مغادرة البلاد إذا رفضوا الدخول فى الإسلام، فبذلك كان له فضل كبير فى اندماج المغول فى المجتمع الإسلامى وكان عصره العصر الذهبى للدولة المغولية[96].

العوامل التى أدت إلى انتشار الإسلام بين المغول:

وقد تعددت العوامل التى أدت إلى اعتناق المغول للإسلام سواء المغول فى بلاد فارس وآسيا الصغرى والعراق أو مغول بلاد القفجاق وخوارزم أو فى بلاد تركستان وما وراء النهر وغزنة. وقد ساعد تدنى أحوال المغول الدينية والحضارية لتقبلهم الدين الإسلامى وحضارته، فلم يكن لديهم شيء ذو قيمة ينم عن حضارة سواء المادية منها أو الفكرية فكانت لطبيعة سكناهم فى صحراء جدباء موحشة وحلهم الدائم وترحالهم أثر كبير فى أميتهم وجهلهم، مما أذهلهم حين احتكوا بحضارة المسلمين فى البلاد التى هاجموها وجذبتهم المدن الإسلامية بقصورها وحماماتها ومدارسها وحدائقها ومساجدها رأوا أساليب معيشية راقية لم يألفوها من قبل، فقد اتسمت حياتهم بالشظف والمعاناة والهمجية والوحشية وسفك الدماء[97].

لذلك فقد ذُهلوا أمام حضارة الإسلام وشدتهم حياة الاستقرار والأمان خاصة أن ديانتهم الشامانية كانت ديانة بدائية وثنية لا تقوم على نهج أخلاقى فانتصر عليهم الإسلام بأتباعه وأنصاره ودعاته من الفقهاء والعلماء الذين يملكون قوة الحجة والإقناع، فلم تلبث شراذم المغول أن تحولت إلى الإسلام وتفاعلت مع حضارته التى عاشت فى مدنها وذاقت حلاوتها، فأخذ الإسلام ينتشر بينهم وساعد على ذلك اختلاطهم بالفرس والترك المسلمين والتزوج منهم[98].

تأثير الزوجات المسلمات:

ويبرز هنا دور الزوجات المسلمات كسبب مباشر ساعد على انتشار الإسلام بين المغول فتذكر المصادر أن هولاكو حين هاجم بغداد سنة (656هـ/ 1258م) استولى على سبعمائة من نساء الخليفة المستعصم (640-656هـ/ 1242-1258م) بعد قتله[99]، فأثرن تأثيراً مباشراً عليه وعلى أبنائه، كما تزوج ابنه تكودار (680-683هـ/ 1282-1284م) من مسلمات مما كان سبباً فى اعتناق هذا الابن الإسلام[100]. وقبل هذا وذاك تذكر المصادر أن جنكيز خان بعد قضائه على خوارزم شاه عام 617هـ/ 1220م أسر أمه وبناته وتزوج ابنه جوجى واحدة منهن وتزوج بعض أمراء المغول باقيهن وجوجى هذا هو جد بركة خان سلطان القبيلة الذهبية فى بلاد القفجاق، الذى ذكرنا أنه أول من أسلم من ملوك المغول كافة حوالى 653هـ/ 1255م [101]. مما يؤكد تأثير الزوجة المسلمة على هذا الخان المغولى واستمر خوانين المغول بعد إسلامهم يتطلعون إلى الزواج من بنات الملوك المسلمين[102]، وتزوج الكثير من خوانين وأيلخانات وأمراء وقواد المغول بتركيات وفارسيات مسلمات كما اتخذوا من الأسيرات المسلمات سرارى وحظيات مما كان له أكبر الأثر فى البلاط المغولى الذى أصبح يعج بالنساء المسلمات اللاتى ولع بهن رجال المغول، مما قضى على بدائيتهم وساعد على انتقال مظاهر الحضارة إليهم عن طريق تواجد هؤلاء النساء فى البلاط، وكان المغول يحتفظون لزوجاتهم بقدر كبير من الاحترام، وكانت تسمى خاتون وتمنح عدد من البلاد تجبى لحسابها أو تمنح راتباً سنوياً كبيراً[103].

ولم يكن زواج المسلمات من الخانات والقواد والأمراء فقط وإنما كان بين الجنود أيضاً، وكان لهن نفس الدور مع الجنود مما أدى إلى دخولهم فى الإسلام ونتج عن ذلك جيل جديد من المغول اعتنق الإسلام أيضاً[104].

استخدام الموظفين المسلمين:

والعامل الثانى الذى ساعد على سرعة انتشار الإسلام بين المغول أن معظم الوزراء والكتاب والموظفين لدى المغول، من المسلمين لأن المغول كانوا بدائيين ليس لديهم الأدوات التى ترتقى بهم للمستوى الحضارى المطلوب وأصبح هناك حاجة لمن يدير وينظم أمور إمبراطوريتهم فأصبح لهؤلاء الموظفون نفوذ كبير فى دولة المغول مما ساعد

على تحول هؤلاء إلى الإسلام، ومن الأمثلة على ذلك نصير الدين محمد الطوسى الذى اتخذه هولاكو – مؤسس دولة المغول فى إيران والعراق وآسيا الصغرى مستشاراً ووزيراً له، وكانت له كلمة مسموعة عنده، وكان من العلماء البارزين فى شتى العلوم وخاصة علم الفلك وكان له تأثيره على هولاكو وابنه أحمد تكودار أيضاً، وكان للطوسى باع فى إحياء النهضة العلمية الإسلامية بعد نكبتها فى بغداد وإيران والشام[105]، وليس نصير الدين وحده وإنما كان للمؤرخ الصاحب علاء الدين عطا ملك الجوينى[106] صاحب كتاب "تاريخ جهانشكاى" أى تاريخ فاتح العالم والمقصود به جنكيزخان[107].

تأثير سكان البلاد المفتوحة على المغول:

وهو من العوامل الهامة التى ساعدت على اعتناق المغول للإسلام، فقد كان هؤلاء السكان يتميزون عنهم بتحضرهم ثقافة وفكراً سواء كانوا فرس أو ترك، فقد كان لهم تاريخ حضارى عظيم سواء قبل الفتح الإسلامى أم بعده، وتأثر الأتراك فى الدولة العباسية بالحضارة الفارسية حين حلوا محل الفرس فى الاستئثار بالنفوذ فى الدولة الإسلامية خاصة فى العصر العباسى الثانى فسحرت الحضارة الفارسية المغول، كما سحرت العرب والترك من قبلهم حتى أصبحت الفارسية هى اللغة الرسمية عادة للبلاط المغولى وكانت هى اللغة التى يستخدمها التجار المسلمين فى كافة أنحاء الإمبراطورية المغولية، وكان للشاعر الفردوسى باع كبير فى نهضة اللغة الفارسية فى عصر سيطرة المغول – ذلك التأثير الذى كان لدانتى فيما بعد للإيطالية ولوثر للألمانية[108].

من ذلك نرى أن اللغة المغولية لم تستطع الصمود أمام اللغات الفارسية أو التركية مما ساعد على اندماج المغول مع سكان البلاد المسلمين والتصاهر معهم حتى انصهر هؤلاء المغول فى المحيط الفارسى[109].

وإذا كان حديثنا يتناول مغول إيران فإن مغول القفجاق وآسيا الوسطى تأثروا أيضاً بالترك واللغة التركية، وكان معظم الترك قد دخلوا فى الإسلام قبل قدوم المغول واندمجوا فى الحضارة الإسلامية أثروا فيها وتأثروا بها فكان تأثيرهم على المغول بالتالى يشكل عاملاً هاماً من عوامل إسلام المغول وحلت اللغة التركية محل المغولية فى آسيا الوسطى والقفجاق وأصبحت هى اللغة الرسمية للبلاد، فقد كان الضغط الإسلامى على مغول

تلك البلاد يحيط بهم من كل جانب سواء من خوارزم أو من سلاجقة الروم أو من بلاد البلغار حيث مسلمى وادى الفلجا الأوسط، فاللغة التركية إسلامية، والسكان ترك مسلمون مما ساعد على إسلام المغول هناك[110].

أثر التصوف فى إسلام المغول:

انتشر التصوف فى هذه الحقبة الزمنية الخطيرة وكان ملاذاً لكثير من المسلمين الذين اعتبروه أسلوباً من أساليب المقاومة السلبية ضد أعداء الإسلام وسلاحاً استخدمه أصحاب الطرق الصوفية لالتفاف الناس حولهم وحثهم على المقاومة، وكان المغول يكنون شيئاً من التقدير والاحترام لهؤلاء الرجال الذين اشتهروا بالتقوى والورع، والتف حولهم أتباعهم ومريديهم وتعددت الطرق الصوفية فى تلك الفترة فمنها الطريقة الرفاعية التى أسسها أحمد الرفاعى المتوفى (579هـ/ 1183م) فى البصرة، وكان لها دور فى التصدى للنشاط التبشيرى النصرانى، ونجحت فى نشر الإسلام بين تتار إيران[111]، والطريقة الكبراوية نسبة إلى مؤسسها الشيخ نجم الدين الكبر أحمد بن عمرو الذى استشهد عام (618هـ/ 1221م) أثناء مقاومته للمغول حين هاجموا الدولة الخوارزمية، وأيضاً الطريقة القادرية نسبة إلى مؤسسها عبد القادر الجيلانى (ت562هـ/ 1166م)، والطريقة السهروردية نسبة إلى عبد القادر السهروردى مؤسسها فى بغداد والمتوفى (563هـ/ 1167م)، وغيرها من الطرق الكثيرة وتجلت فاعليات هذه الطرق فى قيام رجالها بقيادة الناس لمقاومة الظلم والاضطهاد الذى تعرضوا له على يد حكام المغول وأعوانهم، ومقاومة النشاط التبشيرى المسيحى الذى تبناه ملوك أوربا وبابوات روما[112]، كما نشط متصوفى آسيا الصغرى أمثال مولانا جلال الدين الرومى ت (672هـ/ 1213م) وطريقته تدعى المولوية وأدى نشاطهم فى زواياهم التى انتشرت فى معظم مدن وقرى آسيا الصغرى إلى إسلام المغول[113]، كذلك الطريقة البكتاشية نسبة إلى مؤسسها حاجى بكتاش الذى هاجر من خراسان إلى الأناضول أثناء الغزو المغولى لخراسان، ودخلت طريقته فى تنافس مع الطريقة المولوية، فقد كانت الأولى تنتمى إلى غلاة الشيعة والمولوية كانت طريقة سنية[114].

وهكذا انتشر التصوف فى كل البلاد التى سيطر عليها المغول وتنافست الطرق

الصوفية المختلفة فى أداء مهامها بكل قوة وإخلاص وكثرت الزوايا والخوانق فى أنحاء البلاد، وعمرت بالفقهاء والصالحين[115] مما ساعد على إسلام الكثير من خانات المغول على يد هؤلاء الأولياء والصوفيين وحسن إسلامهم وتعمقت فى قلوبهم الشعائر الدينية[116]، فكانوا يقدمون الفقهاء فى مجالسهم ويحيطون أنفسهم بقارئى القرآن فى بلاطهم وأغدقوا على الصوفية العطايا والهبات دون حساب[117].

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، وإنما ساهم سلاطين المغول المسلمين فى نشر الإسلام فى البلاد المختلفة التى لازالت على الوثنية كما فعل السلطان طوما شيرين فى آسيا الوسطى (726-734هـ/ 1325-1333م)، ويعتبر هذا الخان هو المؤسس الحقيقى لدولة المغول الإسلامية فى آسيا الوسطى وقد وصفه العمري[118] بأنه كان "حسن الإسلام، عادل السيرة طاهر الذيل مؤثرا للخير محباً لأهله"، فقد وصلت جيوشه إلى دلهى وأعلى راية الإسلام حتى انتهى الأمر بخلعه عن العرش وتوالى الخانات على حكم آسيا الوسطى وضعفت وانقسمت إلى إمارات وممالك عديدة إلى أن انتهى الأمر باعتلاء تغلق تيمور خان (748-765هـ 1347-1363م) فاستطاع توحيد هذه الممالك مرة أخرى والذى أسلم على يد رجل من أهل التقوى والورع من مدينة بخارى يدعى الشيخ جمال الدين وحسن إسلام هذا الخان ووحد مملكة جغطاى واتخذ من أحد شباب مدينة سمرقند وزيراً له، وكان هذا الشاب يدعى تيمور ويمتد نسب أسرته إلى جنكيز خان، وقد كان أعرجاً فسمى تيمور لنك أى أنه حفيد لجنكيزخان[119].

وقد استطاع تيمور لنك أن يعيد الوحدة إلى إمبراطورية المغول الكبرى كلها، فقام بسلسلة من الحروب فاستولى على الحكم فى سمرقند وما وراء النهر (771هـ/ 1370م) حتى سيطر على معظم ممالك آسيا الوسطى وأفغانستان وإيران وخوارزم والعراق وآسيا الصغرى وبلاد القفجاق واستمرت حروبه حتى وفاته عام (807هـ/ 1404م) واستطاع تيمور لنك أن يساهم فى نشر الإسلام بين البدو الذين كانوا ما يزالون على بداوتهم فى تلك البلاد فاعتنقوا الإسلام[120]، ومما ساعد على ذلك نشأة تيمور لنك الدينية السياسية فقد رباه أبوه على التمسك بأهداب الدين الإسلامى وسنته وحثه على تملك بلاد المغول وتوحيدها ورغم أن المؤرخين أغفلوا الجانب الدينى الإسلامى فى شخصية تيمور، وجهوده الواضحة فى نشر الإسلام داخل وخارج إمبراطوريته، وركزوا على وحشيته

وقسوته فى فتوحاته، وأرجعوا ذلك إلى طبيعته الثائرة، إلا أن بعض المؤرخين أمثال كارل بروكلمان[121] ذكر أنه أنشأ الكثير من المدارس والمساجد والجوامع والزوايا وارتقت الحياة الدينية والثقافية فى عهده ارتقاءً ملحوظاً، وقرب العلماء والفقهاء والمثقفين والفنانين والصناع وأصحاب الحرف وألحقهم بخدمته وأعاد تعمير ما خربه من مدن فى بلاد ما وراء النهر وخوارزم وسار الكثير من خلفائه على نهجه فوطدوا أركان الثقافة الإسلامية وارتقوا بحضارة الإسلام فى جميع مناحيها[122].

وكانت هراة كما سبق وذكرنا من المدن الأفغانية التى لم تسلم من هجمات المغول وتدميرهم لها كما أنها حظيت باهتمامهم واهتمام خلفائهم بعد أن هذب الإسلام نفوسهم فتباروا فى تعميرها جيلاً بعد جيل وجلبوا إليها الصناع والفنانين والرسامين وأغدقوا عليهم حتى إذا ما جاء عصر التيموريين وأحفادهم حظيت هراة بمكانة حضارية متميزة بين عواصم ومدن الدنيا وتألق فيها فن الرسم والخط ومدارس التصوير وأصبحت مركزاً من المراكز العظيمة للزخرفة الإسلامية[123]. كما ارتقى فن المعمار وصحبه ارتقاء فن الزخرفة أيضاً إلى جانب العديد من الصناعات المختلفة[124].

"فعلى الرغم من أن تيمور لنك كان كسلفه جنكيزخان سفاكاً للدماء مدمراً للمدن وحضارتها، إلا أنه كان يبعد أذى جنوده عن العلماء ويبذل لهم العطاء، ويحرص على الالتقاء بالبارزين منهم، واهتم تيمور لنك بإنشاء المدارس والمكتبات، وحين تولى بعده ابنه الرابع "شاهرخ" كان أكثر ملوك التيموريين ثقافة، فجعل من مدينة هراة مركزاً ثقافياً متميزاً فى وسط آسيا، وأصبحت لعلمائها وشعرائها ومعمارييها ورساميها مكانة متميزة فى عهده مما ساهم فى نهضة علمية وفنية رفيعة المستوى، كما أن زوجته "جوهر شاد"، كانت امرأة مثقفة متميزة محبة للعلم والفن وأمرت ببناء مدرسة دينية كبيرة تعلوها المآذن بمدينة هراة، كما أمرت ببناء قبة فخمة بجوار هذه المدرسة لتدفن فيها، وتميزت هذه القبة بالآيات القرآنية المكتوبة بالخط الكوفى التى كانت تزينها وفيها ضريح الملكة"[125].

فقد أظهر تيمور لنك وخلفاؤه من بعده، بذخاً كبيراً فى رعاية الآداب والفنون وأتاحوا للفن الإيرانى أن ينمو ويتكامل، فشيدت الأبنية لتخليد ذكرى تيمور وأبنائه،

وازدانت المدن بالمساجد والأضرحة الضخمة، إلى جانب القصور التى شيدت فى هذه المدن[126].

فن الرسم والخط والتصوير:

وقد أدى اعتناق المغول للإسلام إلى تأثير تقاليد الفن الصينى على المحظورات التى جاءت بها الشريعة الإسلامية فأدخلوا من الصين على الزخرفة الفارسية التنين والعنقاء وأشكال السحاب، وهالات القداسة والوجه الشبيه بالأقمار وزاوجوا بينها بطريقة خلاقة، وبين الأساليب الفارسية فى اللون الشفاف والخط الخالص. وكانت الأساليب المختلطة متماثلة إلى حد بعيد، فإن رسامى المنمنمات الصينيين والفرس على حد سواء رسموا لطبقة الارستقراطيين الذين يحتمل أن ذوقهم كان رفيعاً جداً والأرجح أنهم حاولوا إرضاء الخيال والحواس أكثر من تمثيل الأشكال الموضوعية، وكانت المراكز العظمى للزخرفة الإسلامية فى هذا العصر هى تبريز وشيراز وهراة، ويحتمل أنه قد جاء من تبريز فى عصر الإيلخانات الورقات الخمس والخمسين من كتاب "شاه نامه" كتاب الملوك للفردوسى، وهى من عمل رسامين مختلفين فى القرن الرابع عشر ولكن رسم المنمنمات الفارسية بلغ الذروة فى هراة على عهد التيموريين، وحظى الرسم والخط والتصوير بعناية فائقة فى عصر التيموريين وظهرت المدارس المتعددة. وتعتبر مدرسة هراة من أعظم مدارس الخط والرسم فى العصر التيمورى، وذلك لأنها حظيت باجتماع أمهر الفنانين بها، ومن مدرسة هراة هذه جاءت الشاهنامة، وهى معجزة اللون البراق والجمال الدافق"[127].

ولما كانت تعاليم الإسلام تحرم تصوير المخلوقات الحية فإن الفنان الفارسى "حوّل إنتاج الصور الشخصية التى قد يُعتبر عملها دليلاً على الكفر والإلحاد. وجرّه ذلك التحول إلى الانغماس والتمادى فى استخدام الخطوط والألوان فى زخارف حالمة، ومكنه هذا الأسلوب من التسلط على عناصر التعبير، فاعتمد عليها أكثر من اعتماده على تنوع الموضوع أو حيويته، وذلك واضح فيما صوره من أعمال شعرائه وهى التى تصف مناظر الصيد أو القتال أو حفلات الموسيقى أو رسوم الحدائق والأزهار والمياه. ويبدو أن هذه الموضوعات الوطنية المحدودة كانت كافية لإشباع وتحقيق أحلامه، وأن التنوع الذى أصاب تلك الموضوعات على يديه كان بالغ الحذق والمهارة"[128].

ويعتبر عصر تيمور وخلفائه من أزهى عصور التصوير فى إيران حيث انتشرت معاهد عنيت بفنون الكتاب، وأنتجت العديد من المخطوطات المزوقة بالصور الملونة ولتدريب الفنانين على إنتاجها، وكان بها فريق عمل متكامل على رأسهم الخطاطون والمصورون والمذهبون والمجلدون وغيرهم، وتخرج من هذه المعاهد الفنية مشاهير الفنانين والمصورين وازدهرت المراكز التصويرية فى العصر التيمورى فى أنحاء إيران فى شيراز وفى تبريز وفى سمرقند عاصمة التيموريين الأولى، ثم فى عاصمتهم الثانية والتى استمرت حتى نهاية العصر التيمورى فى هراة[129].

فقد أصبحت هراة كما سبق وذكرنا بعد وفاة تيمور لنك مؤسس الأسرة التيمورية عاصمة للدولة التيمورية على يد السلطان شاه رخ بن تيمور لنك (807-850هـ/ 1404-1447م). وقد اصطحب معه إلى هذه المدينة عددا كبيرا من مشاهير الفنانين والحرفيين المهرة الذين كان والده تيمور قد نقلهم منها إلى سمرقند. ومنذ ذلك الوقت بدأ العمل فى تزويق المخطوطات بالصور الملونة بحسب المدرسة التيمورية فى هراة على أيدى مشاهير الفنانين من مصورين وخطاطين ومذهبين عملوا فى البلاط التيمورى، ثم أنشأ الأمير بايسنقر معهداً لفنون الكتاب بهراة أنتج أروع المخطوطات المزوقة بالصور وبخاصة تلك التى نسخت من كتب أدبية وتاريخية مثل كتاب كليلة ودمنة وكتاب الشاهنامه لأبى القاسم الفردوسى وكتاب جلستان لسعدى، واستمر ازدهار فن التصوير الإسلامى حتى وصل إلى قمة رقيه بفضل المدرسة التيمورية فى هراة، وكان لبهزاد[130] الفضل الأكبر فى تأسيس مدرسة التصوير الإسلامى وكان له تلاميذه الذين أثروا معه فن التصوير الإسلامى فى ذلك العصر[131]، وقد بلغت صور مخطوط شاهنامة بايسنقر درجة عالية فى فن التصوير التيمورى، كما ينسب إلى هراة نسخة مخطوطة من كتاب كليلة ودمنة أعدها "محمد بن حسان الملقب بشمس الدين السلطاني" البايسنقر (834هـ/ 1430م)[132].

وأنتجت مدرسة هراة أيضاً نسخة مخطوطة أخرى من شاهنامة الفردوسى يطلق عليها شاهنامة الأمير "محمد جوكى بن شاه رخ بن تيمورلنك الذى توفى فى هراة (848هـ/ 1445م)، وتحتوى على أربع وعشرين صورة ملونة[133].

وتميزت مدرسة هراة بسمة خاصة وهى التعبير عن الطبيعة فى هراة ذات الجبال التى

تحوطها من كل جانب، والأنهار والأشجار والأزهار التى تغطيها، كما أن العلاقات القوية بين أسرة منج الصينية والأسرة التيمورية أظهرت التأثيرات الصينية على الرسوم، وخاصة زخارف جلود الكتب، وكان العنصر الأساسى فيها الحيوانات الخرافية الصينية[134].

وقد أسس شاه رخ مكتبة فى مدينة هراة التى أصبحت فى عهده أعظم مراكز التصوير شأناً ثم جاء ابنه بايسنقر فأنشأ مكتبة أخرى استقطب إليها أعلام الخطاطين والمذهبين والمصورين[135]. وقد تأثر الفن فى هراة فى عصر التيموريين بالفن الصينى وساعد على ذلك العلاقات الدبلوماسية بين سلاطين التيموريين خاصة عصر شاه رخ وبايسنقر وبين إمبراطور الصين.

ومن الذين أوفدوا فى إحدى هذه البعثات فى عهد بايسنقر مصور اسمه غياث الدين، كلفه السلطان أن يصف كل ما يراه فى طريقه ودون ذلك الوصف فى كتاب اسمه "مطلع السعدين" كتبه بالفارسية كمال الدين عبد الرازق ونقله إلى الفرنسية كترمير. وكانت تلك البعثات تعود من الصين بكثير من المنتجات الفنية فى تلك البلاد، وحقيقة أن الآثار الفنية من مدرسة هراة تشهد بتأثير قوى للفنون الصينية ولاسيما فى جلود الكتب التى كانت الحيوانات الخرافية الصينية من أهم عناصر الزخرفة فيها[136]. وتبودلت الهدايا بينهم كأوانى البورسلين مما أدى إلى تأثر الفن الهراتى بروائع الفنون الصينية[137]، وأدى رقى فن صناعة الورق من الكتان والحرير وكذلك رقى صناعة التجليد إلى تجميل هذه المنتجات وزخرفتها بالمناظر الطبيعية والحيوانات الخرافية، كما عنى الفنانون فى العصر التيمورى عناية فائقة بزخرفة الهوامش بالزخارف الدقيقة المحلاة بالذهب والألوان الخفيفة، إلى جانب تصوير الحيوانات باللون الذهبى وزخرفة الكتب بهذه التصاوير[138].
ومن أبدع الصور التى تنسب إلى مدرسة هراة صورة محفوظة الآن فى متحف الفنون الزخرفية بباريس وهى تمثل لقاء همای وهمايون[139] فى حدائق القصر الملكى بمدينة بكين ويتجلى فيها حب الطبيعة وإبداع تصويرها مع التوفيق فى التعبير عن أرستقراطية الأشخاص المرسومين فضلاً عن ألوانها وأزهارها الرائعة[140].

ومن المخطوطات التى تحتوى على صور مشهورة توضح مدى رقى فن التصوير مخطوط من كتاب فارسى عن قصة المعراج اسمه "معراجنامه" كتب لشاه رخ فى مدينة

هراة سنة (840هـ/ 1436م) ومحفوظ الآن بالمكتبة الأهلية بباريس وتمثل الرسول عليه الصلاة والسلام راكبا البراق تحف به الملائكة ويتقدمه سيدنا جبريل ويسير الركب فى السموات ويقابل الأنبياء والرسل، ويسجل د. زكى محمد حسن ملاحظته على رسوم الرسول ﷺ وأصحابه أن السحنة وتقاطيع الوجوه تدل على أصل عربى، بينما يظهر التأثير الصينى فى رسوم الملائكة بوجوههم المستديرة وعيونهم الصغيرة المنحرفة[141].

وكان بايسنقر ابن شاه رخ شغوفاً بالفن والفنانين كما كان خطاطاً بارعاً وشاعراً مهتماً بجمع الكتب وتجميلها بالتصاوير وحين اعتلى عرش هُراة (817 -837 هـ/ 1414-1433م) أسس مكتبة فى هراة ومجمع للفنون جمع فيه خيرة فنانى إيران منهم سيد أحمد النقاش وخواجه على المصور، وقوام الدين المجلد وفريد جعفر كبير الخطاطين والذى كتب له مخطوط كُلِّستان سعدى (830هـ/ 1426م) المحفوظ فى مجموعة شيستربيتى، والشاهنامة (833هـ/ 1429م) وقد كلفهم بايسنقر مع غيرهم من أمهر الخطاطين بنسخ نسخة منقحة من الشاهنامة مع إضافة مقدمة مطولة لها، وزودها بالتصاوير المختلفة وهى التى عرفت فيما بعد بشاهنامة بايسنقر والمحفوظة فى متحف قصر كلستان بطهران[142].

وبرز أيضاً من أبناء شاه رخ إبراهيم ميرزا الذى كان يعتبر من أمهر الخطاطين فقد خلف العديد من المخطوطات المزدانه بالتصاوير، وكتب مصحفاً كاملاً فى رمضان (830هـ/ 1426م) فى مجلدين محفوظين بمتحف المتروبوليتان فى نيويورك، وبرز أيضاً أخاه الغ بك (796-850هـ/ 1393-1446م) كراعٍ للعلوم والفنون إلى جانب اهتمامه بالفلك وعلم النجوم فى ذلك العصر[143].

وينسب أيضاً إلى مدرسة هراة فى عهد السلطان حسين بايقرا (875-912هـ/ 1470-1506م) العديد من المخطوطات المزوقة بالصور على نمط المدرسة التيمورية، ومن أهمها مخطوط من ديوان السلطان حسين ميرزا بايقرا مؤرخ بسنة (890هـ/ 1485م). محفوظ بالمكتبة الأهلية بباريس، ويحوى بعض التطور الفنى من حيث دقة الألوان والرسوم بتفاصيلها، حيث تصور السلطان حسين ميرزا بايقرا فى مجلس موسيقى وطرب بقصره. وصورة أخرى فى المخطوط تمثل السلطان حسين ميرزا بايقرا يتجول فى قرية بالقرب من

هراة، ودعم ذلك ظهور المصور الإيرانى الكبير كمال الدين بهزاد الذى بدأ عمله فى معهد فنون الكتاب، ثم فى عام (928هـ/ 1522م) عين بهزاد مديراً لمكتبة القصر فأشرف على العديد من الفنانين من مصورين ومذهبين وخطاطين ومجلدين، ويتميز أسلوب بهزاد الفنى برقة الأداء والعناية برسوم الأشخاص والواقعية الواضحة فى الأعمال والحركات، ومحاولة التعبير عن أحاسيسهم وانفعالاتهم واندماجهم اندماجاً حقيقياً فى أعمالهم. كما برع بهزاد فى استخدام العديد من الدرجات من اللون الواحد واستطاع أن يلعب بهذه الألوان فى توافق وانسجام كما أضاف ألواناً من ابتكاره إلى قائمة الألوان المستخدمة فى صور المدرسة التيمورية. كما أضفى الحياة والحركة حتى فى رسوم الحيوانات والأشجار خاصة لمناظر الخيل التى ترعى الحشائش وسط التلال الصخرية[144]. وقد ذاعت شهرة بهزاد ونال رعاية واهتمام السلاطين والملوك فى عصره مما أدى إلى تكوين مدرسة وتلاميذ ساروا على نهجه بل وقلدوه وقلدوا إمضاءه[145]. وينسب أيضاً إلى بهزاد تزويق مخطوطه البستان لسعدى الشيرازى التى نسخها الخطاط المشهور "سلطان على" (893هـ/ 1487م) ويبدو أنها أنجزت تحت رعاية السلطان حسين ميرزا بايقرا، ذلك أن ثلاثة من فنانى بلاطه المشهورين قد ساهموا فى إخراجها وأبدعوا صنعها[146].

"فقد أشرق فى هراة نور عهد جديد فى التصوير الإيرانى بفضل رعاية السلطان حسين ميرزا بايقرا ووزيره الشاعر الموسيقى المصور مير على شيرنوائى. وكان أشهر مصورى إيران فى ذلك العهد هو كمال الدين بهزاد الذى لقب بمعجزة العصر"[147].

وتمتاز مدرسة هراة بطموح الفنانين فيها إلى الإبداع والتطور والتجديد، والميل إلى دقة تصوير التفاصيل فى الرسم، وبغنى الألوان وانسجامها واتزانها وكثرة استعمال اللون الذهبى، وبتغطية الأرضية بالحشائش والزهور والشجيرات[148].

وقد تناول بهزاد بعض مظاهر الحياة اليومية، كما أنه أول من طرق باب الرسوم الشخصية ونجح فيه فعمل صورتان إحداهما للسلطان حسين بايقرا والثانية للسلطان محمد شيبانى خان، ويعد أول نماذج الصور الشخصية فى الفن الفارسى، حيث كانت الصور الشخصية قاصرة على الصينيين واليابانيين فقط فى تلك الفترة[149]. كما أن لبهزاد السبق فى تصوير الدراويش حيث اصطبغت الأعمال الأدبية بالصبغة الصوفية نتيجة

لانتشار التصوف فى تلك الفترة، وقد صادفت هوى فى نفس بهزاد حيث كان له ميول صوفية ومنها تصويرة تمثل "درويش من بغداد"[150].

وقد أشاد الإمبراطور المغولى الهندى "بابر" برسوم بهزاد للدراويش وخاصة ذوى اللحى فله تصويرة من مخطوطه "خمسة الأمير خسرو من دهلي" المؤرخة فى هراة (890هـ/ 1485م) والمحفوظة فى مكتبة شستربيتى فى دبلن وتمثل "رقص الدراويش"[151].

ويوجد فى دار الكتب المصرية تصويرة من مخطوط يوسف وزليخا (940هـ/ 1533م) تمثل "زليخا وصديقاتها"[152].

وكان لبهزاد تلامذة نابهون أمثال: درويش محمد، صاحبى محمد نقاش، وسلطان محمد ومحمد الهروى. وتميزت مدرسة هراة بانسجام الألوان فكان الأخضر والأزرق وظلال القرنفلى والأصفر، كما استخدم اللون الذهبى معبراً عن السماء والفضى معبراً عن المياه، واستطاع بهزاد وتلامذته وزملاؤه أن يرتقوا بمدرسة هراة حتى إذا جاء القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادى، كان بلاط السلطان حسين بايقرا يعد مجمعاً للعلوم والفنون[153]. يعبر عن ذلك ول ديورانت[154] بقوله: "ومن العسير أن تفسر هذه البقايا شهرة بهزاد المنقطعة النظير، إنها تنم على إدراك حسى للأشخاص والأشياء. وعلى حرارة اللون ومداه وعلى حيوية فى التنفيذ تشملها جميعاً دقة رقيقة فى التخطيط. فمعاصرو بهزاد أحسوا بأنه كان قد أحدث انقلاباً فى الزخرفة بنماذجه الأصلية فى التأليف ومناظره الطبيعية الزاهية وصور شخوصه المفصلة بعناية والتى تكاد تقفز إلى الحياة". وعنه قال المؤرخ الفارسى خواندمير الذى كان يقارب الخمسين من العمر حين مات بهزاد حوالى 1523م، ربما بدافع التحيز لصداقته له: "إن براعته فى التصوير والتصميم قد طمست ذكرى غيره من مصورى العالم، إن أنامله الموهوبة بمزايا خارقة محت صور سائر الفنانين من بنى آدم"[155].

وظل بهزاد يعمل فى هراة تحت رعاية السلطان حسين بايقرا حتى سقطت هراة فى يد الشاه إسماعيل الصفوى 916هـ/ 1510م فانتقل معه إلى تبريز وظل يعمل فى بلاطه حتى وفاته[156]. وقد وصفه ول ديورانت بأنه كيتس Keats[157] الزخرفة الحقيقى أو رافائيل

الشرق، وقال عنه: "لقد عركته تجارب الحياة وويلات الحرب وتقلباتها فعكس هذا كله بالفن".

العمران:

يقول أستاذنا د. زكى محمد حسن[158]: "إذا تذكرنا أن الفن هو تعبير الإنسان عن إحساسه الروحى، وترجمة خياله وعاطفته، عرفنا أن الذى يعنينا من العمارة فى تاريخ الفن ليس ما يقوم فيها على العلوم الرياضية، وإنما المظاهر التى لا نستطيع شرحها أو تفسيرها بالاستنباط أو بالأدلة الميكانيكية والعلمية. ولعل هذا أكبر الفرق بين ما يعنى به المهندس فى دراسة العمارة وما يعنى به مؤرخ الفن".

وقد بلغت العمارة الإيرانية عصرها الذهبى على يد تيمور وخلفائه[159]. ورغم ما قيل عن تيمور لنك والخراب الذى كان يتبع جيوشه أينما حلت وكيف كانت قسوته مضرب الأمثال، إلا أنه إن كان خرب دهلي[160] وشيراز[161] وبغداد ودمشق، فقد فعل ذلك لتجميل عاصمته سمرقند التى كان يعمل على أن تصبح عروس الشرق فى المدينة والفنون، بل ذهب إلى حد اعتبار الاشتراك فى بناء عمائره فرضاً على مهرة البنائين فى الأقاليم المختلفة من دولته[162]. "فقد أولع تيمور بالبناء وسرق أفكار العمارة كما سرق الفضة والذهب من ضحايا أسلحته وآثر الفخامة بوصفه فاتحاً وكأنها هى ترمز إلى إمبراطوريته .. إلى إرادته"[163].

وشاع فى عصر التيموريين بناء المساجد التى تعلوها قبة ضخمة ويؤدى إليها مدخل عال يبهر من يراه لعظمته وفخامته[164]. وقد عظم شأن المدارس فى العصر التيمورى فقد شيد تيمور لنك مدرسة فى سمرقند (803هـ/ 1400م) ولكنها تهدمت ولم يبق منها إلا أطلال مبعثرة. وكذلك شيَّد أولغ بك فى تلك المدينة مدرسة بين عامى (851 و853/ 1447-1449م) ولم يبق منها أيضاً إلا أطلالاً باقية، كما كثرت العمائر فى هراة فى عصر التيموريين وكانت تكسى جدرانها بالقاشانى أو بتربيعات خزفية ذات رسوم تحت الدهان[165].

وكان تيمور قد ولع بالألوان، واهتم اهتمامًا شديداً بالزخرفة واستخدام الآجر الأزرق المطلى فى هراة، فاستقدم خزافين من فارس إلى سمرقند ليكسوا بالطوب اللامع

واجهات المساجد والقصور فى عاصمته، وحين شاهد فى دمشق قبة بصلية الشكل تنبعج فوق القاعدة ثم يستدق طرفها إلى أعلى حتى يصبح مدبباً فأمر مهندسين أن يأخذوا تصميمها وأبعادها قبل أن تسقط فى الحريق العام، وتوج سمرقند بمثل هذه القباب، ونشر هذا الطراز بين الهند وروسيا حتى أصبح سائداً من تاج محل إلى الميدان الأحمر، ولما عاد من الهند أحضر معه الفنانين والصناع المهرة فأقاموا له فى ثلاثة أشهر مسجداً ضخماً هو مسجد الملك له بوابة ارتفاعها مائة قدم وسقف مرفوع على 480 عمودا من الحجر، وشيد لأخته "تشو شوك بيكا" ضريحاً لتدفن فيه أصبح تحفة العمارة فى عصره، وعندما أمر ببناء مسجد تخليداً لذكرى زوجته الأثيرة لديه "بيبى خاتون" أشرف على البناء بنفسه "وألقى باللحوم إلى العمال فى الحفائر ونفح الصناع المهرة المجتهدين بالنقود وحثهم على العمل ليل نهار"[166].

وأنجز خلفاؤه فناً أكثر نضجاً، ففى مشهد على الطريق بين طهران وسمرقند استخدمت جوهر شاد زوجة شاه رخ المهندس المعمارى قوام الدين فى بناء المسجد الذى يحمل اسمها (821هـ/ 1418م) وهو أروع نتاج للهندسة الإسلامية الفارسية وأغناه بالألوان. "وفيه تحيط المآذن المزودة بالفوانيس الرائعة بالضريح وكأنها تحرسه، وتؤدى أربعة مداخل فخمة إلى فناء رئيسى، كسيت واجهة كل منها بآجر من الخزف المزخرف لا مثيل لها من قبل ومن بعد تحفة الزمان تتحدى اللون فى مائة شكل من الزخرفة العربية "الأرابيسك" والرسوم الهندسية والحركات الزهرية والخط الكوفى الفخم، وأضفت شمس فارس على هذا مزيداً من البريق والتألق. وفوق الجزء الجنوبى الغربى من الرواق ذى الأعمدة المؤدى إلى حرم المسجد ارتفعت مئذنة من الآجر الأزرق تناطح السماء وعلى الباب بحروف بيضاء على أرضية زرقاء نقش إهداء الملكة وهو إهداء يفيض فخراً وتقىً: "إن عظمتها العريقة فى المجد، شمس سماء الطهارة والعفة جوهر شاد، خلد الله عظمتها وأدام طهارتها: من مالها الخاص، ولخير آخرتها، ومن أجل اليوم الذى يحاسب فيه المرء على ما قدمت يداه، تقرباً إلى الله وشكراً له سبحانه .. شيدت هذا المسجد الجامع العظيم، هذا البيت المقدس، فى عهد السلطان المعظم، سيد الحكام، والد نائب الملك، شاه رخ أدام الله ملكه، وإمبراطوريته وزاد على أهل الأرض صلاحه وعدله وكرمه"[167].

وأقام أتباع المذهب الشيعى العديد من العمائر الفخمة ذوات المآذن الجميلة والقباب الفاخرة، وكسيت واجهاتها بالآجر اللامع أو بصفائح الفضة أو الذهب وبها الساحات المحلاة بالفسيفساء الأزرق والأبيض أو المزخرفة بالخزف البديع الذى يسحر كل من ينظر إليه منبهراً بهذا المنظر الخلاب[168].

"ويبدو أنه كان للمغول فن عمارة خاص، مع أنهم لم يبدعوا أى عنصر من هذا الفن الخاص، فقام ذلك الفن على مزج فنون مختلف الأمم التى خضعت لحكمهم فيما شادوه من المبانى"[169].

وقد اتسم العصر التيمورى فى هراة بجمال وروعة الفن المعمارى الذى بدأه تيمور فى عاصمته سمرقند وأتمها أبناؤه بعده فى سمرقند وهراة وغيرها. وقد أصلح شاه رخ ما دمره أبوه وعمر أبراج هراة ومرو، ولم يترك بلدا فى نطاق حكمه إلا وأعاد بناءه وسارت زوجته جوهر شاد على دربه وأقامت العمائر العديدة فى هراة[170]. وكان لعلاقة شاه رخ بالصين أثر كبير فى تلك النهضة العمرانية[171].

ومن أشهر المظاهر الحضارية المعمارية فى هراة مصلى هراة، ويقع على بعد ألف قدم شمال مدينة هراة وطوله حوالى أربعة أميال وعرضه ثلاثة أميال، وكان يشتمل على عدة أبنية غاية فى الروعة والفن المعمارى فحوى "مدرسة جوهر شاد والمسجد الجامع لجوهر شاد وقبة بايسنقر ميرزا ومدرسة السلطان حسين ميرزا بايقرا وخانقاه حسين بايقرا ومنشآت وزيره الأمير على شيونوائى وهى (دار الحفاظ، ودار الشفاء، خانقاه إخلاصية، مدرسة إخلاصية) مكتبة السلطان حسين بايقرا مكتبة على شيرانوائى، مكتبة بايسنقر". أما عن مصير المصلى فلم يبق منه سوى ستة منازل مع قبة لأن هذا البنيان الفخم كان عامراً حتى (1304هـ/ 1886م) لكنه هدم فى نفس السنة من قبل الإنجليز الذين اشترطوا لانسحاب عسكرهم هدم هذا البنيان فهدم وهدمت معه قرائن تشهد على روعة الفن والعمارة فى هراة فى ذلك الوقت[172].

مدرسة وخانقاه حسين بايقرا:

لما كان السلطان حسين بايقرا شديد التدين محباً للعلم والعلماء فقد آثر أن ينشئ مدرسة تساهم فى نشر العلوم الدينية والعلمية بناها على نفقته الخاصة، واستدعى

المهندسين الأكفاء من كل مكان، وكذلك الرسامين والفنانين أبدعوا فى بنائها وزخرفتها فأضحت آية من آيات الفن المعمارى الفريد، وكان ضريح السلطان يقع فى أحد أركانها وكان يخترقها من الشمال إلى الجنوب نهر "أنجيل" أحد فروع نهر هرى رود وتم بناؤها (898هـ/ 1492م)[173]. ونتج عن رعاية السلاطين التيموريين ووزرائهم للعلم والعلماء نهضة علمية وثقافية لازال التاريخ يشهد على رقيها، كما كان لعصر التيموريين العديد من الشخصيات العلمية البارزة التى تركت بصمات واضحة على الحضارة العربية[174].

وإلى جانب المدارس أنشأ السلاطين والوزراء المكتبات منها مكتبة بايسنقر بن شاه رخ ابن تيمور وتعتبر مجمعاً لجمع الكتب وكتابتها وزخرفتها وتجليدها[175]، ومن أهمها مكتبة السلطان حسين بايقرا والتى كانت تعتبر مجمعاً علمياً حوى العديد من الفنانين والصحافيين والوراقين يعملون كخلية نحل فى إعداد الكتب وكتابتها وزخرفتها وتجليدها واشتهر بينهم الخطاط المعروف سلطان على المشهدى والرسام العظيم بهزاد الذى تولى رئاسة هذه المكتبة، وقد أقيمت بجوار مدرسة السلطان نفسه ومخلفاتها لا تزال تزخر بها مكتبات أفغانستان وإيران وتركيا إلى جانب بعض مكتبات أوروبا أيضاً[176].

أما المكتبة الأخرى فهى مكتبة الأمير على شيرانوائى وكانت مكتبة كبيرة بجوار مدرسته ودار شفائه ولا تزال مخلفاتها من الكتب الثمينة تملأ أرفف مكتبات العالم وقد ختمت بختم الأمير نفسه[177].

وأقام "عليشير نوائي" وزير آخر سلاطين التيموريين "حسين بايقرا" المدرسة الإخلاصية وهى مدرسة دينية عين فيها مدرسين لتدريس أصول الفقه وعلم الحديث، وألحق بها مسجداً كما بنى فى شمال هذه المدرسة قبة أطلق عليها "دار الحفظة" خصصت لتلاوة القرآن الكريم وألحق بها خانقاه لإطعام المساكين وأداء صلاة الجمعة وأوقف الوزير جميع ممتلكاته للإنفاق على هذه المدرسة والمسجد ودار الحفظة والخانقاه. وكانت له مؤلفات عديدة فى الشعر والنثر باللغتين الفارسية والتركية[178]. كما أنشأت زوجته "بليكه سلطان بيكم" مدرسة سميت باسم بانيها بديع الزمان فسميت المدرسة البديعية[179]. وأنشأ هذا الوزير أيضاً ثلاثمائة وسبعين بناء من مساجد ومدارس وخانقاوات، وأصبحت العمائر السلطانية موضوعات شعر الشعراء وأشهرهم جامى

الذى وصف مسجد هراة الجامع وقلاعها ولواحقها ودروبها وأبوابها الخمسة وأسواقها الأربع وبروجها المائة والأربعين وخندقها[180].

وجدير بالذكر أن التيموريين استخدموا فى مواد البناء الطوب والحجر والخشب. وكان استخدام الطوب أعم لأن نقل الحجر من المحاجر كان يتطلب نفقات باهظة، واستعملوا الجص والقاشانى فى زخرفة عمائرهم، كما استعملوا الطوب نفسه فى الزخرفة فكانوا ينشئون منه أشكالاً هندسية بديعة وأشرطة الكتابات وغيرها من الرسوم لتزيين العمائر والمآذن. وقاموا بتشييد العديد من المساجد والأضرحة والمدارس والأسواق هذا بخلاف القصور الجميلة[181]. واستخدم الفنانون المعماريون فيما بين القرنين العاشر والثانى عشر بعد الهجرة (السادس عشر والثامن عشر بعد الميلاد) الزخارف الجصية فى القصور والبيوت ولونوها بدقة وتنوع فأصبحت تشبه رسوم الصور والصفحات المذهبة فى المخطوطات التى تنسب إلى ذلك العصر[182].

واستخدم المعماريون فى هراة النقوش الحائطية كما هو موجود فى قاعة استقبال عظيمة فى شمال هراة، عمل فى تصوير حيطانها أعلام المصورين مثلما عليه الحال فى أحد القصور الذى يوجد على حائط إحدى قاعاته صور الأميرات السبع، ثم أقبل الفنانون على رسم الزهور والطيور والحيوانات فى تزيين العمائر فى القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى[183].

فن الزخرفة:

كان من أثر اعتناق المغول للإسلام بصفة عامة أنهم آثروا تقاليد الفن الصينى على المحظورات التى جاءت بها الشريعة الإسلامية فأدخلوا من الصين على الزخرفة الفارسية التنين والعنقاء وأشكال السحاب وهالات القداسة والوجوه الشبيهة بالأقمار، وزاوجوا بينها بطريقة خلاقة وبين الأساليب الفارسية فى اللون الشفاف والخط الخالص. وكانت الأساليب المختلطة متماثلة إلى حد بعيد فإن رسامى المنمنمات الصينية والفرس على حد سواء رسموا لطبقة الأرستقراطيين الذين يبدو أن ذوقهم كان رفيعاً جداً[184].

وأضحت هراة مركزاً من المراكز العظيمة للزخرفة الإسلامية فى هذا العصر، وبلغ رسم المنمنمات الفارسية الذروة فى هراة على عهد التيموريين، واستخدم شاه رخ طائفة

كبيرة من الفنانين، وأسس ابنه بايسنقر ميرزا كلية خاصة بالخط والمنمنمات، ومن مدرسة هراة هذه جاءت الشاهنامة وهى معجزة اللون البراق والجمال الدافق، وكان كمال الدين بهزاد كما ذكرنا من قبل الفنان الذى اكتسب خبراته من تجارب الحياة وويلات الحروب فعكس هذا كله بالفن واكتسبت أعماله شهرة واسعة مما يدل على إدراك حسى للأشخاص والأشياء وعلى حرارة اللون ومداه وعلى حيويته فى التنفيذ مع دقة التخطيط. فمعاصرو بهزاد أحسوا بأنه قد أحدث انقلاباً فى الزخرفة بنماذجه الأصيلة فى التأليف ومناظره الطبيعية الزاهية وصور شخوصه المفصلة بعناية والتى تكاد تقفز إلى الحياة[185].

صناعة الخزف:

كانت أكثر أنواع الخزف انتشاراً فى العصر المغولى والتيمورى هو الخزف الأخضر والأزرق وكانت مصانع الخزف تنتج منه كميات هائلة أتيح استعمالها لمختلف طبقات الشعب. وكانت هراة ضمن أهم مراكز صناعة الخزف، وكانت عناصر الزخرفة تعتمد على صور الطيور كالطاووس والغزال والإوز والصقر أو حيوانات خرافية كأبى الهول والطائر ذى الوجه الآدمى، كما ازدهر الخزف المزخرف بالرسوم المنقوشة تحت الدهان باللونين الأسود والأزرق، أو فوق الدهان بالبريق المعدنى أو الألوان المتعددة فضلاً عن التذهيب والرسوم البارزة[186].

صناعة الزجاج والخشب:

تطورت صناعة الزجاج فى العصر التيمورى حيث جمع تيمور فى سمرقند فى بداية القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى نخبة من أمهر صانعى الزجاج فى ذلك العصر فازدهرت هذه الصناعة على يدهم، وكان منهم الزجاجون السوريون. ثم تطورت تلك الصناعة فيما بين القرنين العاشر والثانى عشر الهجرى السادس والسابع عشر الميلادى على صناعة الأباريق والقنينات الزجاجية الطويلة المشوقة[187].

كما ازدهر أيضاً استخدام العناصر الهندسية فى زخرفة الخشب، واستعملت الرسوم النباتية فى الأساليب الفنية الإيرانية. وازدهرت صناعة الحفر على الخشب فى القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى متمثلاً فى بابين من قبر تيمور محفوظين الآن فى متحف الهرميتاج[188].

صناعة التحف المعدنية:

ازدهرت أيضاً صناعة التحف المعدنية فى هراة متأثرة بالأسلوب الفنى الذى شهدته إيران فى القرن السادس وبداية السابع الهجريين/ الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين والذى ازدهر فى الموصل وانتشر منها إلى دولة المماليك فى مصر والشام وهو نفسه الذى سارت عليه إيران فى إنتاج التحف المعدنية فى النصف الثانى من القرن السابع وقد يكون السر فى ذلك رحيل بعض الفنانين عن الموصل إلى إيران، ومن التحف المعدنية النفيسة فى القرن الثامن الهجرى شمعدان فى مجموعة هرارى بدار الآثار العربية، وهو مكفت بالفضة والذهب، وارتفاعه تسعة وعشرون سنتيميترا وقطره خمسة وعشرون، ويرجع تاريخ صناعته إلى سنة (760هـ/ 1448م)[189]. وغيره العديد من التحف التى تشهد على روعة صناعة المعادن فى ذلك العصر مثل مجموعة من الأوانى المكفتة بالذهب والفضة، وقوام زخرفها رسوم آدمية تمثل مناظر البلاط واللعب بالصوالجة وما إلى ذلك من مناظر الحياة فى الطبقات الأرستقراطية من المجتمع[190].

والواقع أن صناعة التحف المعدنية فى إيران بلغت عصرها الذهبى فى نهاية القرن السابع وفى القرن الثامن بعد الهجرة (نهاية الثالث عشر وفى القرن الرابع عشر)، ويدل على ذلك الأباريق الجميلة التى تمتاز ببدنها المضلع الذى تغطيه الأشرطة والجامات أو المناطق ذات الرسوم الآدمية والحيوانية والكتابية على أرضية من السيقان والفروع النباتية المطبقة بالذهب والفضة[191].

المنسوجات:

أدى اتساع تجارة إيران مع الشرق فى القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين)، ثم غزوات المغول وقدوم كثيرين من النساجين الصينيين إلى إيران إلى ازدياد تأثر مصانع النسيج بالأساليب الصينية فى زخرفة المنسوجات[192].

وفى عصر التيموريين كانت لخراسان شأن عظيم فى صناعة النسيج وأصبحت سمرقند وهراة فى عصر تيمور وخلفائه مركزاً عظيماً لنسج الأقمشة النفيسة، حيث تطلبت ظروف ذلك العصر من تطلع الأمراء وكبار رجال الدولة إلى اتخاذ أفخر الملابس

والستائر والفرش والوسادات إلى استقدام تيمور وخلفائه النساجين من الصين والشام مما أدى إلى رقى تلك الصناعة رقياً كبيراً[193].

واستخدمت أنواع عديدة من الأقمشة مثل: الديباج والنسيج المقصب بالذهب والفضة والمزين برسوم طيور صينية الطراز، فضلاً عن المخمل "القطيفة". وزاد وجود زهرة اللوتس فى زخارف المنسوجات، كما استخدم البط كثيراً فى زخرفة ذلك العصر، وكانت الأقمشة تصدر من هذه المدن إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامى[194].

السجاد:

شهدت صناعة السجاد تطوراً ملحوظاً فى عصر خلفاء تيمور وكانت هراة مركزاً عظيماً من مراكز صناعة السجاد ومعظم السجاجيد المزخرفة برسوم الزهور ترجع إلى القرنين العاشر والحادى عشر الهجريين (السادس عشر والسابع عشر بعد الميلاد) وتنسب إلى هراة السجاجيد المزخرفة برسوم الزهور ذات الأرضية الحمراء اللون بينما الإطار أخضر. وكان السجاد ميداناً واسعاً لإظهار تفوق فنانى هراة وصناعها فى اختيار الألوان، حيث بلغ ما استخدموه فى السجادة الواحدة زهاء عشرين لونا. ولم تكن كل السجاجيد تصنع لتفرش على الأرض، وإنما كان تعليق السجاجيد فى الحفلات من الأمور المعروفة خاصة فى أوروبا فى عصر النهضة[195].

الموسيقى والغناء والرقص:

استلزمت نظم ورسوم البلاط فى هراة فى العصر التيمورى إقامة الحفلات ومجالس الشراب والتى كانت تعقد فى الغالب لعدة أيام، وكان الغناء والموسيقى من لوازم تلك الاحتفالات، وحظى الموسيقيون والمطربون بعطف وكرم السلاطين[196].

ومن المطربين المعروفين فى تلك الفترة كان ميرشادى وغلام وميرغرو، كما عج البلاط التيمورى بالعديد من الراقصين أشهرهم بدر الذى ابتكر العديد من الرقصات التوقيعية رغم كونه فقيهاً يرتدى العمامة الفخمة الوقورة فلا يتورع أن يشارك فى إحدى الرقصات الشعبية التى لا تزال تروج حتى اليوم فى إيران باسم "هراتى"[197]، وفيه يعتلى الراقص مقعداً ويساير الموسيقى بعض الوقت وهو ملتف فى ملاءة بيضاء ويتمايل فى ستره هذا

تمايلات رشيقة أكثر منها فنية، ثم يكشف عن نفسه بالتدريج. وهناك رقصات أخرى تعرف باسم خراساني وهي تشبه الرقص الموسيقى الذى يؤدى فيه الراقصون حركات مضحكة تحكى المغازلة[198].

ومن قدامى الموسيقيين كمال الدين أبو الفضل المراغى (ت 837هـ/ 1433م)، وكان استقدمه تيمور على عاصمته سمرقند وتقرب من شاه رخ وسكن هراة إلى أن توفى بها، ومن أعماله: (جامع الألحان) فى الموسيقى وألفه عام (816هـ/ 1413م)، وكذلك كتابه "مقاصد الألحان" الذى ألفه لشاه رخ عام (821هـ/ 1418م)، وكتاب الموسيقى زبدة الأدوار وكنز الألحان فى علم الأدوار وغيرها[199].

واشتهر فى عهد بايسنقر ابن شاه رخ الموسيقى "أمير شاهي" الذى ألف مؤلفاً فى ثلاثة مجلدات جمع فيه سير الموسيقيين والمصورين والشعراء، ومزودا بالتصاوير الموسيقية[200].

ومما ينهض دليلاً على أهمية مجالس الطرب فى حياة السلاطين التيموريين وبخاصة السلطان بايسنقر من أن الصفحتين الافتتاحيتين فى مخطوط كليلة ودمنة (834هـ/ 1430م) والمحفوظ فى مكتبة طوبقا بوسراى فى استانبول تمثلان بايسنقر فى مجلس طرب، كما تضم مجموعة برنسون فى فلورنسا تصويرة فردية فى عمل المجمع الفنى فى هراة (830 هـ/ 1426م). وتمثل بايسنقر يلهو مع زوجاته فى مجلس طرب[201].

وتبوأ العديد من الموسيقيين مكانة رفيعة فى عهد السلطان حسين بايقرا ووزيره على شيرانوئى وأشهرهم خواجه عبد الله مروارید وقل محمد عودى وشيخ نابى ثم حسين عودى الذى كان يجيد العزف على العود والناى والقانون[202].

الثقافة والأدب:

اتسمت الحياة الأدبية فى عصر التيموريين بالرقى والتقدم. وإلى تيمور نفسه يرد الفضل فى إشاعة الاهتمام الجدى بالحركة العقلية بالبلاد حتى بلغ ذلك العنصر التركى درجة من الرقى لم يعرفها من قبل. برغم الحروب المستمرة التى خاضها ذلك القائد إلا أن بلاده شهدت قبيل نهاية حكمه نهضة عقلية لا تنكر فى ميدانى الدين والعلم.

ويتميز عهد تيمور بإقامة المدارس الكثيرة وإجراء الأرزاق عليها، مما جعله مثالاً يحتذى لمن جاء بعده من أبنائه وأحفاده وكذلك من الوزراء والقواد الذين تنافسوا فيما

بينهم فى بناء المدارس والمساجد ودور الشفاء وغيرها من منشآت الرعاية الاجتماعية وإجراء الأرزاق عليها[203].

ولم تقتصر جهود التيموريين على تشجيع الحركة الأدبية والثقافية بل امتدت إلى رعاية الكتّاب ورجال الفنون وكذلك كان منهم من شارك بنفسه فى النهوض بتلك الحركة فقد خلف لنا على شيرنوائى وزير شاه رخ فى كتابه مجالس النفائس ثبتا بأسماء الأمراء التيموريين من المشتغلين بالآداب فكان منهم شاه رخ ميرزا فقد استقطب لبلاطه العلماء وأخذ عنهم العلوم الرياضية وأفاد منهم فى بناء مرصده الشهير بسمرقند عام (832هـ/ 1428م). ومن أشهر علماء الرياضيات غياث الدين جمشين الكاشانى (ت بين 832 و840هـ/ 1428 -1436م)، ومن ضمن إنجازاته آلة طبق المناطق وهى آلة لتحديد المسافات بين الكواكب والأرض ورصد أحوالها المختلفة وشرح دقائق الرجوع والخسوف والكسوف كما أن له مؤلفاً أيضاً فى كيفية صنع آلة فلكية سماها (لوح الاتصالات) واسمه (الإلحاقات العشرة) [204]. إلى غير ذلك من العديد من المؤلفات الخاصة بهذا العلم، ومن علماء الفلك والنجوم أيضاً ركن الدين شرف الحسينى الأملى (ت 860هـ/ 1455م) وعاش فى هراة، ومن مؤلفاته (زيج مفاتح الأعمال وزيج جامع سعيدى) وبنجاه باب سلطانى 852-861هـ/ 1448-1456م فى الأسطرلاب.

وفى الطب نبغ العديد من العلماء فى هذا العلم وألفوا المؤلفات العديدة بالفارسية ونبغ من العلماء فى الطب نجيب الدين أبو حامد محمد بن على السمرقندى (ت 816هـ/ 1413م) وبرهان الدين نفيسى بن عوض بن نفيسى الكرمانى وشرح موجز قانون ابن سينا لابن النفيسى وأتم شرحه عام (841هـ/ 1437م). وألف محمد بن علاء الدين بن وهبة الله السبزوارى المعروف بغياث المتطيب كتابا بالفارسية اسمه قوانين العلاج وشفاء الأمراض أو (رسالة در معالجات أمراض بدن) فى أربعة عشر باباً ذكر فيها كيفية علاج كل مرض وأنهى الكتاب سنة (871هـ/ 1466م). كما ألف كتابا أسماه (مرآة الصحة) ويشمل الطب النظرى والعملى وغيره الكثير من علماء الطب.

وكانت هراة فى العصر التيمورى مجمعاً للأدباء والعلماء وتعددت مراكز الثقافة والحضارة فى العصر التيمورى ونشطت العلوم العقلية والعلوم الدينية أيضاً.

فمن العلوم الدينية علم تجويد القرآن والتفسير والحديث وابتدأه واشتهر به فى هراة أبو الخير محمد بن محمد الجزرى الذى اصطحبه تيمور من الجزيرة والشام إلى هراة وكان يلقى دروس التجويد فى بلاد ما وراء النهر وخراسان وفارس وأسس بشيراز (دارا للقرآن) ثم تولى أولاده من بعده تدريس علم التجويد فى مختلف بلاد العالم الإسلامى ولقى تفسير القرآن عناية كبيرة واهتماماً من علماء تلك الفترة، وخرجت مؤلفات عديدة فى هذا العلم منها جامع البيان فى تفسير القرآن (جامع التبيان) من تأليف معين الدين محمد الإيجى (830-898هـ/ 1426-1492م) وهو من علماء الشافعية فى القرن التاسع الهجرى كما ظهر فى هراة فى عصر السلطان حسين بايقرا الواعظ حسين الكاشفى (ت 910هـ/ 1504م) وألف الكثير فى علم التفسير منها جواهر التفسير، وكذلك كتابه مواهب علمية، وكتاب آخر فى تفسير سورة يوسف باسم جامع الستين لأنه فسر آيات هذه السورة فى ستين فصلاً[205]. ثم تأتى تفاسير شيوخ النقشبندية الصوفية، وحظى علم الحديث فى هراة بمؤلفات الشاعر الصوفى نور الدين عبد الرحمن الجامى ومنها المؤلف المسمى (أربعين جامى) نظمها (868هـ/ 1463م) وبها أربعون حديثاً من أحاديث الرسول (ص) بقصد تيسير حفظها وفهم معانيها، وكذلك رسالة الكاشفى (الرسالة العلمية فى الأحاديث النبوية) بالفارسية ، أما علم الفقه والكلام فقد اهتم علماء السنة والشيعة بتأليف العديد من المصنفات فى علم الفقه والكلام وشرح ما تقدم منها، ومن أشهر هؤلاء العلماء على بن محمد يونس العاملى (ت 877هـ/ 1472م)، وأهم مصنفاته (الصراط المستقيم إلى مستحقى التقديم) حاول فيه إثبات إمامة الأئمة الإثنى عشر، وناقش قضايا علم الكلام.

ومن أشهر المتصوفة ابن أبى جمهور شمس الدين محمد الإحسانى الذى ألف فى الفقه (درر اللآلى العمادية فى الأحاديث الفقهية) و(زاد المسافرين) (878هـ/ 1473م) وشرحه فى كتاب سماه (كشف البراهين)[206]. أما العلوم العقلية فحظى علم المنطق بوجود العالم ميرسيد شريف الجرجانى (ت 816هـ/ 1413م)، وكذلك قاضى زاده وحسن بن على الشافعى ومولانا داود ومولانا عبد الرحيم شروائى والملا جلال الدوانى ومير حسين بن معين (ت 910هـ/ 1504م) والعلامة شريف الجرجانى الذى ألف كتاب (كبرى)[207]. وكان لولوع ألغ بيك ابن شاه رخ بعلوم الرياضة والفلك والجغرافيا أثراً كبيراً فى ارتقاء تلك العلوم.

الشعر والنثر:

وقد تطور الشعر تطوراً كبيراً وساهم السلاطين فى إثرائه كما ذكرنا وشاركوا فيه إلى جانب رعايتهم للشعراء، ومن شعراء ذلك العهد مولانا عبد الرحمن جامى ويعرف بحبيب الله، وكان مشهوراً بالنظم والنثر إلى جانب تفوقه فى علوم الفقه والتفسير والفلسفة والنحو. وكذلك اشتهر سهيلى أو شيخيم سهيلى صاحب الترجمة الممتازة لقصص كليلة ودمنة الهندية، وقد عاش عشرين عاما ببلاط السلطان حسين بيقرا. كما اشتهر أيضاً قاسم الأنور ويعرف باسم معين الدين على، وكان أعظم شاعر صوفى فى عصره وعاش أول الأمر فى بلاط شاه رخ إلى أن مات فى سمرقند عام (837هـ/ 1433م) ثم خواجه عبد الله هاتفى الشاعر الذى نظم سيرة تيمور (تيمور نامه) شعراً، ثم خواجه عصمت البخارى وكان الشاعر الخاص لكل من السلطانين خليل وأولغ بك وعلى يديه تعلم أولغ بك صناعة الشعر ومات (845هـ/ 1441م)[208]. ثم اشتهر أيضاً مولانا حسين كبرى حفيد العلامة المشهور نجم الدين كبرى من تلاميذ العلامة أبى الوفا الخوارزمى الذى قتله المغول واشتهر كشاعر صوفى، وقد كتب شرحاً على مثنوى جلال الدين الرومى. كذلك كتب خواجه عبد الله مروارید ملخصاً باسم بيانى، ديوانا ينظم الشعر بالفارسية والتركية على السواء. وقد أدخل فى الشعر التركى بعض الموضوعات الفارسية ووضع كتاباً عن ملوك الفرس الأقدمين[209].

وكان لشاه رخ كذلك محاولات فى نظم الغزل، ولا يزال غزله فى زوجه جوهر شاد يروج حتى اليوم فى الأغانى الشعبية عند أهل هراة[210].

ومن أكثر الشعراء شعبية السكاكى الذى مدح السلطان خليل (808-812هـ/ 1405-1409م) حفيد تيمور، ثم مدح بعده أولغ بك، كما اشتهر الشاعر التركى سيدى أحمد بن ميرانشاه وهو من ذرية تيمور، وعمل منظومة (تعشقنامه) التى كتبها لشاه رخ (829هـ/ 1435-1436م). والتى قيل إنها مقلدة من منظومة (محبتنامه) للخوارزمى[211].

وكان الشعراء الترك يكتبون مؤلفاتهم فى سمرقند وهراة حيث كانت غالبية السكان من التاجيك وحيث لم يكن العنصر التركى ممثلاً إلا فى الأسرة الحاكمة وفى الجيش، ولكن تبوأ الأتراك كراسى الحكم كان يزيد دون شك من أهمية اللغة التركية[212].

ويعد عصر السلطان حسين بايقرا (874-912هـ/ 1469-1506م) من أزهى عصور الفن والثقافة فى هراة، فقد بلغت الحياة الفنية والعلمية أوج نضجها، وشجع على ذلك أن السلطان حسين بايقرا كان شاعراً يهوى الأدب ويشجع الأدباء وله ديوان شعر باللغة الجغتائية، وكذلك وزيره على شيرنوائى (844-906هـ/ 1441-1500م) كان شاعراً وموسيقياً وراعياً للعلم والفن ورجاله، هذا إلى جانب أن تلك الفترة حفلت بتواجد عظماء الأدب والفن الذين كانت تضمهم مجالس السلطان حسين ميرزا فى هراة، وكان الشاعر جامى، ومير خواند، وخواند مير من المقربين إلى السلطان المشهورين فى بلاطه[213]. أما ملا بنائى أحد رجال المعمار فى هراة فقد عاش محوطاً بالرعاية ببلاط السلطان حسين بايقرا إلى أن غادره إلى بلاد ما وراء النهر ومات عام (922هـ/ 1516م). ثم محمد صالح صاحب منظومة شيبانى نامه وله إلى جانب ذلك غزليات رقيقة، كما نظم شعراً نهج فيه نهج "ليلى والمجنون"، ونذكر كذلك خواجه عبيد الله الذى كان من تلاميذ بهاء الدين النقشبندى ومن دعاة تعاليمه النشيطين، وكان متصوفاً وعالماً ذائع الصيت حتى تخاصم علماء عصره من أجله وتوفى عام (895هـ/ 1489م) بقرية "كما كيران"[214] ولا يزال كتابه "تحفة الأحرار" يقرأ على نطاق واسع وهو فى العقيدة. أما عن النثر فقد تميز فى هراة فى العصر التيمورى بسمات كثيرة منها سهولة اللغة فى الكتابة والتى تقترب إلى لغة الحوار وإيثار الإنشاء المزين خاصة فى التآليف الأدبية والتاريخية والصوفية، واتسم كذلك بدخول بعض الكلمات والمصطلحات المغولية والتركية الجغتائية فى اللغة الديوانية والإدارية فى ذلك العصر، واتسم أيضاً بالإطناب فى بيان المطلوب خاصة فى المكاتيب والمناشير والمؤلفات التاريخية ويلاحظ هذا الأمر فى مقدمات الكتب الأدبية والتاريخية[215].

وتعددت أنواع النثر وموضوعاته فى الأدب الهروى (الهراتى)، فتناول أبواباً مختلفة من العلوم العقلية والأدبية والتاريخية والقصص والروايات والتراجم الذاتية والتفسير والتصوف والأخلاق والأدب والأمثال وقصص الحب مثل: (قصة فيروز شاه) التى وضعها مولانا محمد بيغمى، وقصة تحوى حكايات وروايات قصصية ألفها حسين الواعظ الكاشفى للسلطان حسين بايقرا، وقصة (يوسف وزليخا) المعروفة بأحسن القصص للشيخ معين الدين محمد المعروف بمعين المسكين ت 907هـ/ 1501م[216].

وكثرت وتعددت كتب التراجم والسير مثل كتب سير مشايخ الصوفية وأبرزها كتاب (نفحات الأنس من حضرات القدس) لنور الدين عبد الرحمن الجامى (ت 898هـ/ 1492م) كتب فيه سيرة لستمائة وأربعة عشر صوفياً وغيره الكثير من العلماء أصحاب المؤلفات. كما ظهر كتاب اسمه (مجالس العشاق) وينسب للسلطان حسين بايقرا، وهو عبارة عن ترجمة ذاتية لعدد من الشعراء والمشايخ الصوفية ونسب لكل منهم قصة عشق كانت فى الغالب من نسج خيال المؤلف، وقد شكك ظهير الدين بابر مؤسس الدولة المغولية فى الهند فى نسب هذا الكتاب للسلطان حسين[217].

علوم النحو واللغة:

وإلى جانب الشعر نبغ النحويون والفقهاء فى بلاط هراة عصر التيموريين، ونبغ منهم على سبيل المثال الهروى[218] صاحب "الغريبين" وتناول العلماء كتب النحو العربية بالشرح والتلخيص مثل: "مغنى اللبيب" لابن هشام وألفية ابن مالك. وارتقت علوم البلاغة والإنشاء كذلك، واشتهر العديد من العلماء أمثال: حسين بن محمد شاه فنارى (ت 886هـ/ 1481م) وأبو القاسم بن أبى بكر الليثى السمرقندى، وشيخ الإسلام بهراة أحمد بن يحيى (ت906هـ/ 1500م) وشمس الدين محمد بساطى (ت 842هـ/ 1438م) وغيرهم العديد[219].

علم التاريخ:

أما علم التاريخ فقد اهتم تيمور بنفسه فى إثبات وقائع عهده وحروبه وحث المؤرخين على تدوينها، وسار التيموريون على نهج أبيهم فى الاهتمام بالتاريخ فعنوا بتأليف تواريخ الأسر السلطانية كما عنوا بتأليف التواريخ العامة مثل: روضة الصفا وحبيب السير، ومن أهمها أصح التواريخ تأليف محمد بن فضل الموسوى، ويشتمل على التاريخ منذ بدء الخليقة حتى عهد تيمور، ثم مجمع التواريخ سلطانى تأليف شهاب الدين عبد الله بن لطف الله المعروف بحافظ أبرو (ت 833هـ/ 1429م)، وهو فى أربعة مجلدات تشتمل المجلدات الثلاثة الأولى وقائع التاريخ حتى عهد الإيلخانيين ويشمل الرابع الأحداث من موت السلطان أبى سعيد حتى وقائع عام (830هـ/ 1426م)، ثم يأتى كتاب روضة الصفا تأليف ميرخوند (ت 903هـ/ 1497م). كما ألفت كتباً فى تاريخ المدن والأقاليم

الإيرانية منها كتاب روضات الجنات فى أوصاف مدينة هراة الذى ألفه عام (899هـ/ 1493م) معين الدين الأسفزازى. إلى غير ذلك العديد من المؤلفات والكتب التاريخية لمشاهير العلماء وكتاب التاريخ والتراجم[220].

حركة الترجمة:

أما عن الترجمة فقد ترجمت العديد من الكتب الفارسية والتركية فى هذا العصر مما كان له أثر كبير على تدوين القواميس والمعاجم الفارسية التركية أو التركية الفارسية.

كما ترجمت المعاجم العربية إلى الفارسية لحاجة المتعلمين فى تركيا والهند إلى تعلم الفارسية، كما وضعت المعاجم التركية بسبب انتشار التركية فى البلاد العثمانية وإيران على السواء، ومن المعاجم الشهيرة كتاب (الجامع) تأليف سيد محمد بن سيد حسن ت (866هـ/ 1461م) وهو تلخيص لكتاب صحاح اللغة للجوهرى الفارابى وكتاب مختصر الصحاح للشيخ مفلح الصيمرى. ومن المعاجم الفارسية المؤلفة فى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادى (كنز اللغات) وضعه محمد بن عبد الخالق بن معروف، ومن المعاجم الفارسية (أداة الفضلاء) وهو منظومة فارسية وضعها القاضى خان بدر محمد الدهلوى عام (822هـ/ 1419م). ومنها (شرفنامة منيري) وضعه إبراهيم فاروقى عام (878هـ/ 1473م). كما وضع رستم مولوى معجمه (وسيلة المقاصد إلى أحسن المراصد) لتعليم قواعد اللغة الفارسية وذكر معانى الألفاظ الفارسية بالتركية[221].

من كل ما سبق يظهر جلياً أن "عصر التيموريين يتميز بظهور حضارة فيه لم تعرف لها الشعوب الإسلامية نظيراً فى وقت من الأوقات فيما عدا الفترة التى ازدهرت فيها الحضارة عند الأمويين فى الأندلس بعض الوقت أو فى العصر العباسى الأول بالعراق، فقد شهدت مدينة هراة وغيرها من المدن الإيرانية تطوراً حضارياً رفيع المستوى وله سمة التنوع بصورة أذهلت المؤرخين"[222]. "لقد شهد التاريخ ارتباطاً وثيقاً وتفاعلاً عميقاً بين الثقافتين العربية والفارسية اللتين أنتجت بتآلفها حضارة إسلامية زاهرة يفخر بها العرب والفرس وتفخر بها الحضارة الإنسانية فى كل زمان ومكان[223]، وامتزجت الثقافتين العربية والفارسية نتيجة لانتشار الإسلام فى بلاد الفرس، كما أدى كذلك إلى انتشار العربية فى بلادهم فأتقنوها لأنها لغة القرآن، وحتى يستطيعون فهم ما تشير إليه

الأحاديث النبوية فى محاولة للتفقه بأمور دينهم فنتج عن كل ذلك نهضة علمية وثقافية بعيدة المدى. وظهرت حركة الترجمة بين اللغتين العربية والفارسية مما ساهم فى بناء صرح حضارة إسلامية راقية لازالت الإنسانية تفخر بها حتى الآن"[224].

وقامت على أرض هراة نهضة عمرانية كبيرة فى عهد التيموريين وعمرت بالمنشآت الفخمة وشيدت فيها المساجد والمدارس ودور الشفاء وأصبحت من أهم المراكز الثقافية الإسلامية التى يقصدها الشعراء والعلماء والفقهاء والحكماء والمؤرخون، كما صارت أعظم المراكز السياسية والتجارية فى آسيا الوسطى[225]، وتعد همزة الوصل بين الأفغان وإيران[226].

الملاحق

جدول يوضح حكام هراة من بنى تيمور:

- شاه رخ	817هـ - 1414م
- أولوغ بك	850هـ - 1446م
- أبو القاسم بابر بن بايسنقر بن شاه رخ	853هـ - 1449م
- شاه محمود بن بابر	861 هـ- 1456م
- السلطان أبو سعيد	863هـ - 1458م
- ياد كار محمد بن محمد بن بايسنقر	875هـ - 1470م
- أبو الغازى حسين بايقرا	878هـ - 1473م
- بديع الزمان المظفر بن حسين بايقرا	912هـ - 1506م
وقد هزمه محمد الشيبانى سنة	912هـ - 1506م[1]

الصور الفنية

مجموعة صور توضح السمات الفنية المختلفة لمدرسة هراة فى العصر التيمورى تم تصويرها بمعرفة الباحثة من كتاب Survey of Persian Art 4 أجزاء، والموجود بقاعة الكتب النادرة بمكتبة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

وساعدنى فى شرح الصور والتعليق عليها زميلى د. رجب سيد المهر: مدرس التصوير الإسلامى بقسم الآثار الإسلامية كلية الآداب – جامعة المنصورة.

---

(1) نقلاً عن المستشرق زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، ترجمة د. زكى محمد حسن ود. حسن محمود وآخرين، دار الرائد العربى – بيروت، ص26-27.

الصورة الأولى

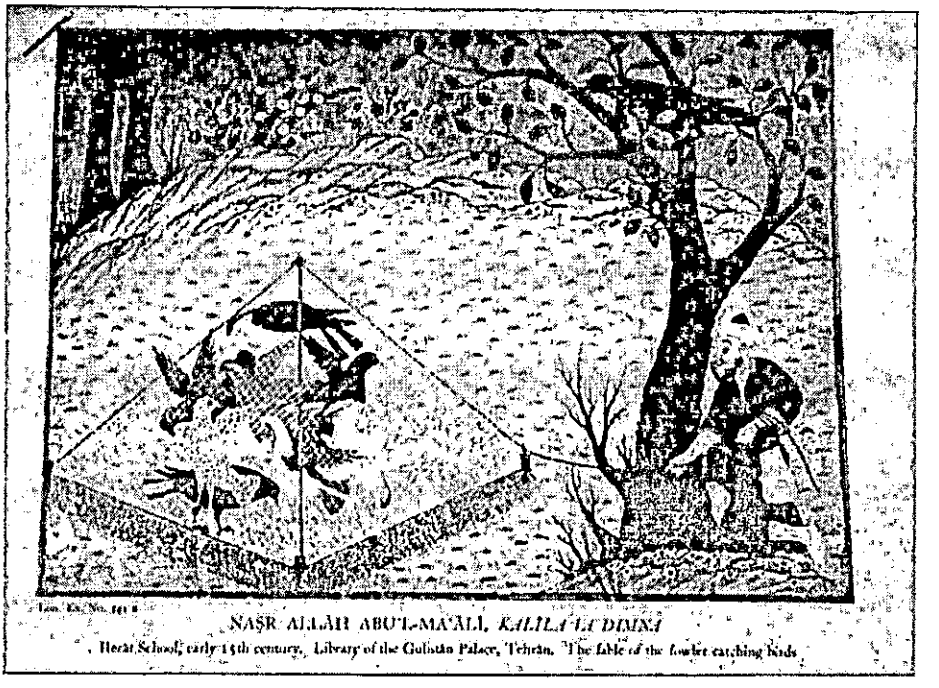

NAṢR ALLAH ABU'L-MA'ALI, *KALILA WA DIMNA*
Herat School, early 15th century, Library of the Golistan Palace, Tehran. The fable of the fowler catching birds

موضوع الصورة : صائد الطيور.

المخطوط : كليلة ودمنة.

مكان الحفظ : مكتبة قصر جلستان فى طهران.

المدرسة والتاريخ : المدرسة التيمورية فى هراة فى بداية القرن 9 هـ / 15م.

وتمثل الصورة صائد الطيور، حيث ترى بمقدمة الصورة شجرة ضخمة فى يمين الصورة ووقف إلى جوارها صائد الطيور، وقد ألقى بشباكه على مجموعة متنوعة من الطيور، ويرتدى هذا الرجل ملابس فضفاضة واسعة عبارة عن جلباب أخضر اللون مزخرف بنقط مرسومة باللون الأسود ويغطى رأسه عمامة بيضاء متعددة الطيات.

الصورة الثانية

موضوع الصورة : حرب البوم على الغربان.

المخطوط : كليلة ودمنة.

مكان الحفظ : مكتبة قصر جلستان فى طهران.

المدرسة والتاريخ : المدرسة التيمورية فى هراة فى بداية القرن 9 هـ / 15م.

وتمثل الصورة حرب البوم على الغربان، حيث نرى فى مقدمة الصورة منطقة جبلية ظهرت صخورها بالشكل الإسفنجى المعروف فى تصاوير المدرسة التيمورية والمميز لأسلوب رسم الصخور فى تصاوير هذه المدرسة، وقد نبتت من بين هذه الصخور شجرتين ضخمتين ذات جذوع عظيمة وأغصان وأوراق كثيفة، بالإضافة إلى بعض الشجيرات والحزم النباتية الصغيرة.

ونرى على قمم الصخور فريق البوم المكون من ثمانى، وقد شن هجوماً شديداً على عدد مماثل من الغربان.

الصورة الثالثة

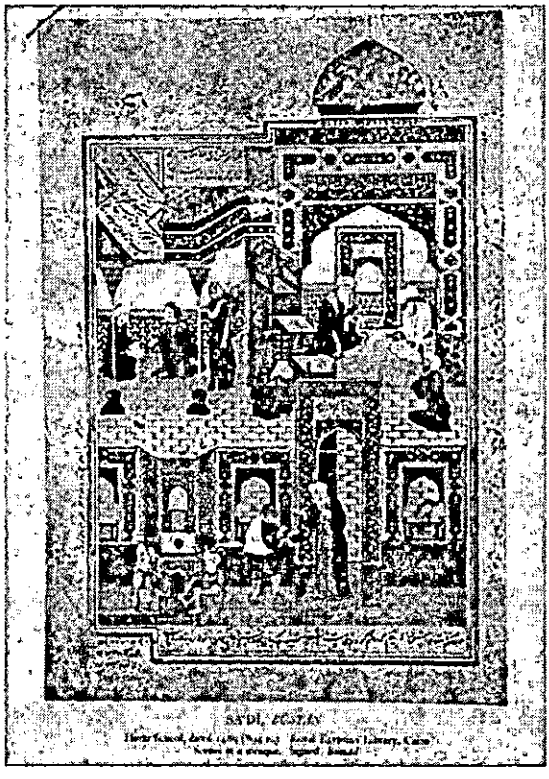

موضوع الصورة : مشاهد مختلفة داخل مسجد.

المخطوط : بستان سعدى.

مكان الحفظ : دار الكتب المصرية بالقاهرة.

المدرسة والتاريخ : المدرسة التيمورية فى هراة فى عام 894هـ/ 1489م. وتحمل هذه الصورة توقيع المصور بهزاد.

وتمثل الصورة بعض المشاهد المختلفة التى تحدث داخل مسجد حيث نرى فى مقدمة الصورة (من أسفل) ميضأة المسجد، حيث يتوضأ فيها بعض الأشخاص فى حين يهم أحد الأشخاص بالدخول إلى المسجد بينما يتحدث معه شخص آخر يقف على باب المسجد، فى حين رسم المصور مجموعة من الفقهاء يجلسون داخل المسجد يتضرع البعض منهم بالدعاء.

الصورة الرابعة

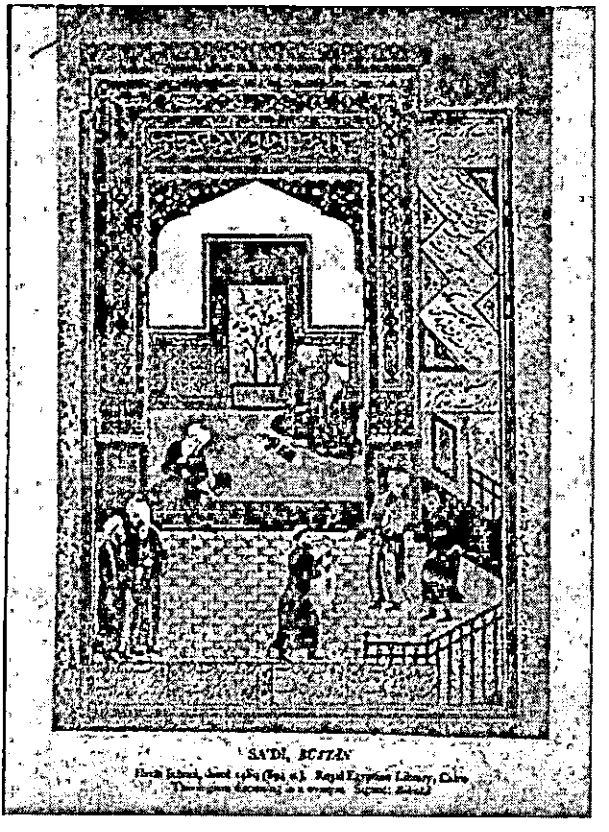

موضوع الصورة : فقهاء يتجادلون داخل مسجد.

المخطوط : بستان سعدى.

مكان الحفظ : دار الكتب المصرية بالقاهرة.

المدرسة والتاريخ : المدرسة التيمورية فى مدينة هراة فى عام 894هـ/ 1489م.

وتمثل الصورة فقهاء يتجادلون داخل مسجد، وتحمل هذه الصورة توقيع المصور بهزاد وهو أشهر مصورى المدرسة التيمورية فى مدينة هراة، وتظهر الصورة مهارة المصور فى توزيع الأشخاص وإضفاء طابع الحركة عليهم واستخدام الألوان الزاهية الجيدة الملائمة لكل عنصر من عناصر الصورة، كما أظهرت الصورة الدقة الواضحة فى رسم العناصر المعمارية وزخرفتها بالزخارف المتنوعة الدقيقة.

الصورة الخامسة

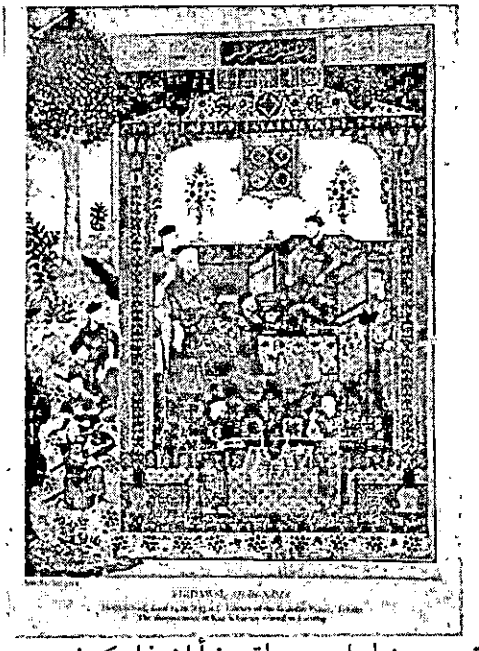

موضوع الصورة : لهراسب يتلقى نبأ اختفاء كيخسرو.

المخطوط : شاهنامة الفردوسى (والتى تنسب إلى عصر الأمير بايسنقر).

مكان الحفظ : مكتبة متحف قصر جلستان فى طهران.

المدرسة والتاريخ : المدرسة التيمورية فى مدينة هراة فى عصر الأمير بايسنقر، فى عام 833هـ/ 1429م.

وتمثل الصورة الملك لهراسب يتلقى نبأ اختفاء كيخسرو، حيث نرى لهراسب وقد جلس على عرش أنيق داخل قاعة العرش ويقوم بعض الخدم بتقديم بعض ألوان من الطعام والشراب، وأثناء هذه اللحظة أبلغه بعض الخدم باختفاء كيخسرو، وتظهر الصورة قمة النضج الفنى التى وصلت إليه المدرسة التيمورية فى التصوير الأدائى أثناء عهد الأمير بايسنقر فى مدينة هراة، حيث أبدع المصورون فى رسم الأشخاص وملابسهم وأغطية رؤوسهم وأضفوا عليهم طابع الحركة والحيوية، كما اهتم المصورون أيضاً برسم وزخرفة قطع الأثاث والخلفيات المعمارية بأجمل الزخارف وأروعها مستخدمين فى ذلك الألوان الفنية المتدرجة الملائمة لكل عناصر الصورة.

الصورة السادسة

LEFT HALF OF A DOUBLE-PAGE COMPOSITION. UNFINISHED MINIATURE

موضوع الصورة : وليمة يحضرها أحد الملوك داخل حديقة.

المخطوط : تصويرة مرسومة على ورقة مزدوجة من مخطوط بستان سعدى.

مكان الحفظ : دار الكتب المصرية بالقاهرة.

المدرسة والتاريخ : المدرسة التيمورية فى مدينة هراة فى عام 893هـ/ 1488م.

وتمثل الصورة بعض مشاهد تحدث داخل حديقة حيث نرى بعض الملوك وقد شارك فى حضور وليمة داخل حديقة، وقد جلس بعض الطباخين بأسفل الصورة ويقومون بتجهيز الوليمة، فى حين جلست فرقة الطرب بأعلى الصورة وتقوم بالعزف على آلات الطرب المختلفة.

الصورة السابعة

موضوع الصورة : طائر السيمرغ (العنقاء) تعيد "زال" إلى أبيه "سام".

المخطوط : شاهنامة الفردوسى.

مكان الحفظ : الجمعية الملكية الأسيوية فى لندن.

المدرسة والتاريخ : المدرسة التيمورية فى هراة فى عام 844هـ/ 1440م.

أوردت الشاهنامة فى هذه القصة أن "زال"، ولد أبيض الشعر فاستقبحه أبوه "سام" وأمر به فأخرج من جبل ألبرز فى الهند، فأخذته العنقاء وربته بين أولادها (أفراخها)، ولما علم سام بما حدث لولده توجه إلى الجبل وتضرع إلى الله وسأله أن يرد عليه ابنه، فألهم الله العنقاء فحملت زال بين جناحيها وحلقت به ثم رفرفت حول والده سام ووضعته بين يديه فوجده غلاماً قد أفرغ فى قالب الجمال رشيق القد كالغصن المائل صبيح الوجه كالبدر الكامل، فخر ساجداً لله تعالى شكراً وحمداً.

الصورة التامنة

NAṢR ALLĀH ABU'L-MA'ĀLI, *KALILA WA DIMNA*
Herat School, early 15th century. Library of the Golestan Palace, Tehran. The fable of the four friends

موضوع الصورة : الأصدقاء الأربعة فى منظر طبيعى.

المخطوط : كليلة ودمنة.

مكان الحفظ : مكتبة قصر جلستان فى طهران.

المدرسة والتاريخ : المدرسة التيمورية فى مدينة هراة فى بداية القرن 9 هـ/ 15م.

تمثل الصورة الأصدقاء الأربعة (الظبى – الغراب – السلحفاة – الجرز أو الفأر) وهم فى منظر طبيعى فى الهواء الطلق، حيث رسمهم المصور فى مقدمة الصورة، ونرى بعض الصخور الزرقاء والصفراء فى يسار الصورة وقد نبتت من خلالها شجرة، وفى الجانب الآخر شجرة مزهرة.

الصورة التاسعة

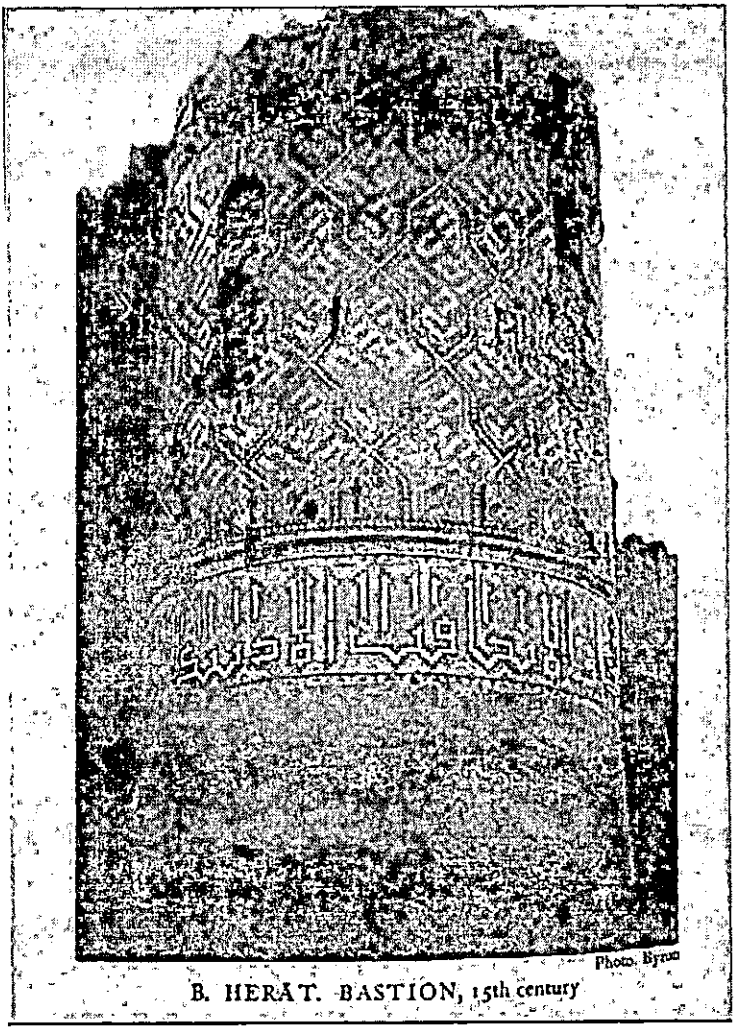

موضوع الصورة : صورة لأحد أسوار إحدى القلاع فى مدينة هراة فى القرن 9هـ/ 15م.

ويظهر بهذه الصورة جانب من سور إحدى قلاع مدينة هراة، وتبين جزء من أحد الأبراج المشيدة بهذا السور.

الصورة العاشرة

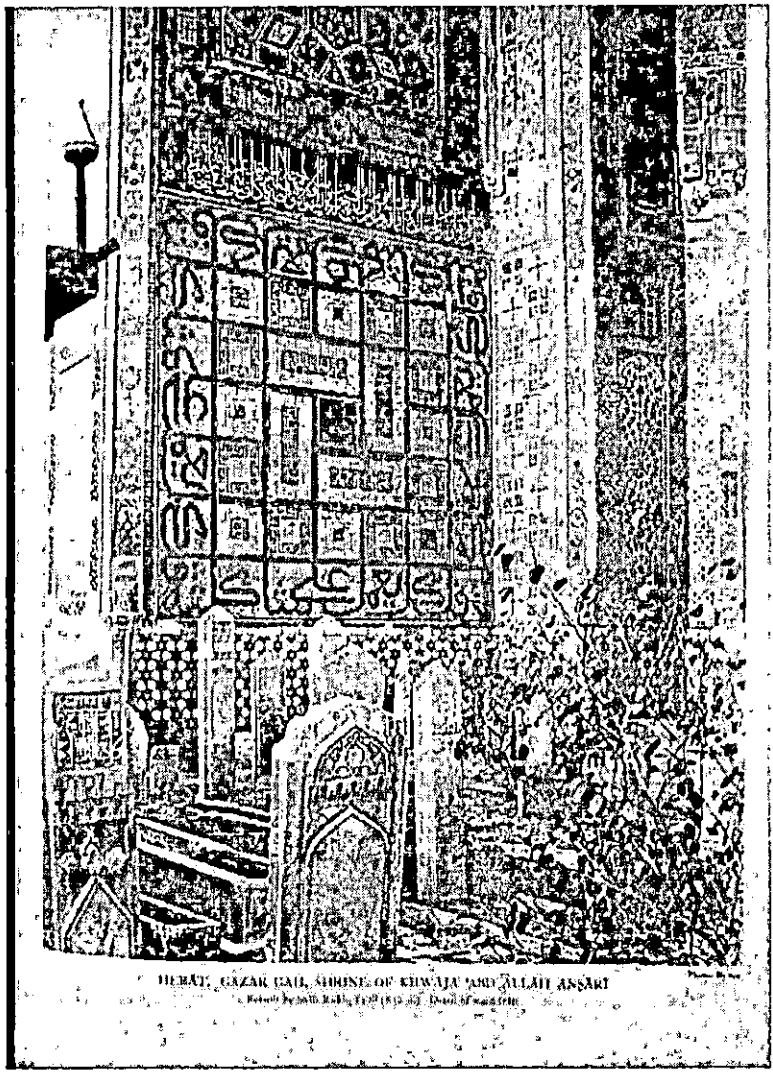

موضوع الصورة : صورة لمقبرة جماعية فى مدينة هراة.

ومن الواضح أن هذه المقبرة قد أعيد ترميمها فى عهد السلطان التيمورى شاه رخ فى عام 832هـ/ 1428م.

هوامش البحث

(1) تيمور لنك: ولد الأمير تيمور بن الأمير تراغاى بهادر وهو من قبيلة بارلاس الأوزبكية فى الخامس والعشرين من شهر شعبان 736هـ/ 1335م فى قرية خوجة ايلغاز بولاية كش. وقد بدأ الأمير تيمور تعلم الفنون الحربية منذ صغره وخاض حروباً مختلفة فى الرابعة والعشرين من عمره حيث اشتدت منازعات الأمراء مما أدى إلى تقسيم البلاد إلى عشر ولايات مستقلة وتعرضت البلاد للسلب والنهب وهاجم زعماء المغول البلاد حتى استطاع تيمور لنك تحريرها وقضى على تفرق الأمراء ووحدهم تحت لوائه ومات وعمره 72 عاماً تاركاً 36 ابناً وحفيداً من ذريته وذلك فى عام 807هـ/ 1404م. انظر نصر الله مبشر الطرزى: فهرس المصادر والمراجع عن الأمير تيمور والتيموريين المحفوظة بدار الكتب المصرية، إصدار سفارة جمهورية أوزبكستان بالقاهرة، 1996، ص ب من المقدمة. وبارتولد شولر: العالم الإسلامى فى العصر المغولى، ترجمة خالد أسعد عيسى، دمشق، 1982، ط1، ص121-127. وانظر أرمنيوس فامبرى: تاريخ بخارى، ترجمة أحمد الساداتى، القاهرة 1987، ص205-206، باول هرن: تاريخ مختصر إيران، ترجمة رضا زاده شفق، ص75-82.

(2) بارتولد: تاريخ الترك فى آسيا الوسطى 246، ول ديورانت: قصة الحضارة، مجلد 13، ترجمة د. عبد الحميد يونس ومحمد على أبو درة. د.ت، ص 25-26، 42-43.

(3) سمرقند: بلد معروفة وهو قصبة الصغد مرتفعة عليه قيل بناها شمر أبو كرب فسميت شمركنت فأعربت فقيل سمرقند وقيل سميت شمركندى هدمها شمر (بن أفريقيس بن أبرهة) فعربتها العرب سمرقند. راجع ابن بطوطة: الرحلة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار، تحقيق طلال حرب، بيروت 1987، ص391، هامش 37. وتقع على بعد مائة وخمسين ميلا شرقى بخارى، ويحيط بها سور يليه خندق عميق، وتمتلئ المدينة بالبساتين والأشجار، وتصل المياه جميع البيوت والدور لأن المدينة يمر بها نهر أو أكثر، وبها القلعة التى تحوى دار الإمارة والسجن ولها بابان حديد داخلى وخارجى ولها أربع أبواب باب الصين فى الشرق وباب بخارى فى الشمال وباب النوبهار فى جهة المغرب والباب الكبير المسمى باب كش فى الجنوب، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص387.

(4) نصر الله مبشر الطرزى: المرجع السابق، ص حـ- ط من المقدمة، وانظر محمد أمان الصافى: أفغانستان والأدب العربى عبر العصور، القاهرة، 1988، ص73.

(5) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة أمين نبيه فارس، بيروت 2000، ص420، ومحمد عبد القادر أحمد: المسلمون فى أفغانستان، ط1، القاهرة 1984، ص21.

(6) الأوزبك هى قبائل اتجهت من هضاب آسيا إلى إيران واستوطنوا منطقة ما وراء النهر وينتسبون فى أصولهم إلى جنكيز خان وقد عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى أوزبك خان، وعرفوا فى عهد الصفويين باسم الشيبانيين نسبة إلى محمد خان شيبانى، وكانوا متعصبين للمذهب السنى، وتمكنوا بعد احتلالهم لسمرقند وبخارى عام 905هـ/ 1499م من إقامة دولة جديدة وراء النهر عاصمتها

سمرقند، عادل حسن غنيم: الدولة التيمورية (المغولية) الإسلامية فى الهند: دار الفكر، 2003، ص 14 فى الهامش.

(7) ظهير الدين محمد بابرشاه: تاريخ بابرشاه "وقائع فرغانه"، ترجمة وتقديم د. ماجدة مخلوف، القاهرة 2000، ص11-12.

(8) لقب ميرزا كان يطلق على المثقف الأديب وأصبح هذا اللقب لقب أبناء تيمور ويطلق على أصحاب القرائح والعقول وذلك لاقترانه بالأمراء التيموريين من أصحاب الفضل والعلم، فقد عرف أغلب سلاطين ذلك العصر بالاشتغال بالعلوم والآداب. سهير بيومى مرسى: هرات وشعراؤها فى العصر التيمورى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، 2002م، ص171.

(9) هراة: بفتح الهاء والراء المهملة هى مدينة من مدن خراسان، وكلمة هراة تعنى فى كتاب زردشت المقدس (صوت البكاء) وهى على يمين الطريق الأعظم القادم من نيسابور إلى بحر الهند وتعتبر هراة من الإقليم الرابع لخراسان وقد أعاد الإسكندر تعميرها بعد التخريب وتتمتع بطقس غاية فى الجمال حتى قالوا عنها: (لو يكن الإنسان فى أرض أصفهان مع رياح "هراة" ومياه "خوارزم" سيصعب موته فى هذا المكان) ومصدر مياه هراة من نهر "هرى" ويوجد بها حدائق غناء ويتصل بتلك المدينة حوالى 18 قسما، وتتميز بالفواكه المتعددة ويعمل شعبها بصناعة الأسلحة ومعدات الحروب وبها قلعة محصنة ومعبد للنار على بعد فرسخين من المدينة ويطلقون عليه (سرشك) ويوجد كنيسة بين المدينة ومعبد النار وبها العديد من المزارات أهمها مزار شيخ عبد الله الأنصارى والإمام فخر الرازى، موسوعة "لغت نامة" ص170-171، انظر اليعقوبى: البلدان، ليدن 1891م، ص280، وسيف بن محمد بن يعقوب الهروى: تاريخ نامة هراة، كلكته 1943م، ص26-45، الاصطخرى: مسالك الممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال: ليدن مطبعة بريل 1967م، ص293، سهير بيومى مرسى: المرجع السابق، ص3-4.

وكان لهراة أربعة أبواب باب سراى وباب خُشك وباب فيروز، وباب زياد وكانت أبوابها من الخشب المصفح بالحديد إلا باب سراى فكان من الحديد كله وعلى كل باب سوق ولحصنها أربعة أبواب، وخارج الحصن جدار يطوف بالحصن كله، وفى وسطها المسجد الجامع تعقد به حلقات للفقهاء، وبها أيضاً السجن على ظهر قبلة المسجد الجامع، انظر الاصطخرى: المصدر السابق، ص 294-295. وفى شمالها الجبال وفى جنوبها طريق يسمى مالن قنطرة على نهر هرى رود، وبينها وبين المدينة بساتين وقراها متصلة وازدهرت الحضارة والعمران فيها ازدهاراً عظيماً قبل أن ينقض عليها المغول ويجتاحوها. ابن حوقل: صورة الأرض، بيروت 1939، ص363-366، ياقوت: معجم البلدان، بريل 1906، ج3، ص958، الحميرى: الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980م، ص594-595، ومحمد أمان صافى: الأدب الأفغانى الإسلامى، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1996، ص17-19.

(10) بابرشاه: المصدر السابق، ص12-13، باول هرن: المرجع السابق، ص77-79. وأرمينوس فامبرى: تاريخ بخارى، ص259-260. وأصبحت خراسان وهراة فى عهده مركزين منافسين

على ازدهار الحضارة والثقافة، ول ديورانت: المرجع السابق، ص50-51. وأحمد شلبى: موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، القاهرة، 1993، ص 266.

(11) ظهر الدين محمد بابرشاه: المصدر السابق، ص12-13، باول هرن: المرجع السابق، 77-79.

(12) مدينة مشهورة بالهند وهى ثغر من ثغور طخارستان. ياقوت: معجم البلدان، بيروت 1957، ج 4، ص426.

(13) السلطان حسين ميرزا بن سلطان غياث الدين منصور الأمير بايقرا ابن عمر شيخ بن تيمور، وقد لقب بألقاب كثيرة مختلفة، إلا أنه عرف فى المصادر المتعددة والمراجع باسم السلطان حسين بايقرا. وكانت أمه فيروز بنت سلطان حسين بنت الأمير تيمور، كما يعد السلطان حسين بايقرا من أحفاد ميرانشاه بن تيمور، وجدته كانت من بنات الأمير ميرانشاه، وكانت ولادته 842هـ/ 1438م فى شمال مدينة هراة فى قصر يسمى "دولتخانه" لذلك فهو نشأ فى بيئة حاكمة، وترعرع بين أحضان الملوك والأمراء ثم توفى أبوه غياث الدين عام 849هـ/ 1445م، وكان له من العمر 7 سنوات، ولما بلغ الرابعة عشرة من عمره التحق بملازمة ميزار أبى القاسم بابر الذى أكرم مقدمه، ثم رافق أبى سعيد ميرزا عام 859هـ/ 1454م وتطورت به الأمور إلى الزواج من ابنة السلطان معز الدين سنجر. العسقلانى: أبناء العمر بأنباء العمر، بيروت د. ت، ج1، ص15-20. الحنبلى: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، القاهرة، 1351، ج7، ص47. باول هرن: تاريخ مختصر إيران، ص80، ص110.

(14) بابرشاه: المصدر السابق، ص15-16، ابن تغرى بردى: المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، تحقيق د. نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة 1988، ج5، ص238-241.

(15) سجستان: ناحية كبيرة وولاية واسعة ذهب بعضهم إلى أن سجستان اسم للناحية وأن اسم مدينتها زرنج وبينها وبين هراة ثمانين فرسخاً وأرضها كلها رملة سبخة والرياح فيها لا تسكن أبداً، ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص190.

(16) الغور: هو واد بين تلال به قبر أبى عبيدة بن الجراح ويسمى غور بيسان، راجع ابن بطوطة: الرحلة، ص81، وهامش 20 نفس الصفحة.

(17) بابرشاه: المصدر السابق، ص11-12. باول هرن: المرجع السابق، ص80، محمد أمان صافى: المرجع السابق، ص45.

(18) كان وزيرا للسلطان حسين بايقرا وكان يتصدر مكانة عالية فى الأدب والتاريخ ولد عام 844هـ/ 1440م ، فى (باغ دولت خانة) فى شمال هراة وكانت أمه حفيدة أمراء كابل وتوفى فى هراة سنة 906هـ/ 1500م ودفن فى زاوية بمدرسة فى المصلى، وبنى العديد من المنشآت المعمارية التى ساهمت فى رقى حضارة هراة. خليل الله خليلى: هراة تاريخها – آثارها – رجالها، بغداد، 1974، ص21-22.

(19) باول هرن: المرجع السابق، ص80.

(20) تطلق هذه الكنية أحياناً على سلالة تيمور بأسرها وتطلق بصفة خاصة على أمراء بيته الذين حكموا فارس وآسيا الوسطى فى القرن 9هـ/ 15م. سهير بيومى: المرجع السابق، ص103.

(21) كارل بروكلمان: المرجع السابق، ص422-423.

(22) أول من أطلق كلمة أفغان على هذه البلاد الفلكى الهندى "فاراها موهيررا" وسماها أفغان فى القرن 6 ق.م، عبد الله أحمد المير: أفغانستان تاريخ وأحداث، منشورات بان أرابيان، لندن – قطر 1980، ص80 وكان اسمها القديم آريانا وكانت تنقسم إلى 16 إقليماً وكانت بلخ عاصمة أفغانستان الآرية وقد ذكر بطليموس أقاليمها وجعلها سبع ولايات بدلاً من 16 إقليماً. محمد أمان صافى: المرجع السابق، ص17-19.

(23) وكانت أفغانستان معبراً للقوافل التجارية المارة بطرقها التجارية العابرة نحو الهند والصين، وأهمها طريق الحرير الذى من خلاله اتصلت أفغانستان بمراكز الإشعاع الحضارى القديم مما كان له أكبر الأثر فى اتصال حضارة اليونان والرومان بحضارة الصين، واستخدموه فى تجارتهم بين الشرق والغرب، ومن بلاد الأفغان وصل الإسلام إلى بلاد الهند. عبد الله أحمد: المرجع السابق، ص80-81.

(24) المرجع السابق، ص80، هدى درويش: أفغانستان بين السلام والحرب، سلسلة كتب التصوف الإسلامى، الكتاب الثامن والأربعون، معهد الدراسات والبحوث الأسيوية. جامعة الزقازيق، ص5.

(25) أ. ج. أربرى: تراث فارس، ترجمة محمد كفافى وأحمد الساداتى، السيد يعقوب بكر، محمد صقر خفاجة، ويحيى الخشاب، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1959، ص185-186.

(26) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، د.ت، ج1، ص109.

(27) معين الدين الاسفزازى: روضات الجنات فى أوصاف مدينة هراة. تصحيح سيد محمد كاظم، طهران 1338 هـ. س، ص55-76.

(28) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص396.

(29) دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية أحمد الشنتيناوى وآخرون، مراجعة وزارة المعارف العمومية، م – 7. د. ت.

(30) والثابت أنه كانت هناك علاقات ومراسلات وسفارات بين آباقا خان الخان المغولى وبين الملك إدوارد الأول ملك إنجلترا سنة 776هـ/ 1277م حيث كان التتار يطرقون أبواب الغرب الأوربى فى سبيل جذب مودة الغرب طمعاً فى تكوين حلف معهم ضد أعدائهم التقليديين أى المماليك فى مصر والشام. فؤاد عبد المعطى الصياد: الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين. قطر 1987، ص 62-63.

(31) دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكرى 1998، ط1، ج3، ص883 و محمد عبد القادر أحمد: المسلمون فى أفغانستان، 1984، ص105.

(32) دائرة المعارف الإسلامية، ج3، ص883.

(33) نظام الملك: سياسة نامة، نشر عباس إقبال طهران، 1320هـ، ص225.

(34) ابن الأثير: المصدر السابق، ج2، ص443، الحميرى: المصدر السابق، ص595، محمد أمان صافى: المرجع السابق، ص23.

(35) محمد أمان صافى: المرجع السابق، ص23.

(36) بوشنج من نواحى بليدة نزهة خصيبة فى واد مشجر من هراة بينهما عشرة فراسخ، ياقوت : معجم البلدان، ج1، ص508.

(37) بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً وبينها وبين العذيب أربعة أميال، ياقوت: معجم البلدان، ج 4، ص291-293 وهى مدينة عظيمة فيها حدائق ونخل، ابن بطوطة: الرحلة، ص190.

(38) الكرديزى: زين الأخبار، ج1، ص149، الترجمة العربية لعفاف زيدان، وأحمد محمود الساداتى: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية، ص173.

(39) البلاذرى: فتوح البلدان، القاهرة 1900، ص470، البيهقى: تاريخ البيهقى، ترجمة يحيى الخشاب وآخرين، القاهرة 1982، ج2، ص144، ومرال معروف: الهجرة من أفغانستان، ترجمة محمد حرب، دار القلم، دمشق، 1989م، ص211.

(40) الكوفى: كتاب الفتوح، بيروت 1325هـ ج2، ص104، وفاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان من قبيل الفتح الإسلامى حتى وقتنا الحاضر، القاهرة 1980، ص25.

(41) فاروق حامد بدر: المرجع السابق، ص25. إذن فمن العوامل التى مكنت الإسلام من الانتشار هى السياسة العامة للدولة الإسلامية فى فارس والتى نظمت قواعدها زمن الفتح وتألفت من أركان كثيرة أهمها معاملة أهل الذمة مما ساعد على تقبلهم للدعوة الإسلامية كما تم عقد العديد من المعاهدات مع المدن المفتوحة، كانت معاهدة هراة إحداها. ونصها: معاهدة مع عظيم هراة "فى أفغانستان".

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أمر به عبد الله بن عامر عظيم هراة وبوشنج وبادغيس: أمره بتقوى الله ومناصحة المسلمين وإصلاح ما تحت يديه من الأرضين وصالحه عن هراة سهلها وجبلها على أن يؤدى الجزية ما صالحه عليه وأن يقسم ذلك على الأرضين عدلاً بينهم فمن منع ما عليه فلا عهد له ولا ذمة" واستتب الأمر للمسلمين حتى وقعت الفتنة الكبرى والتى انتهت بمقتل عثمان رضى الله عنه، وانشغال الإمام على بحرب البغاة فانتقضت أجزاء من خراسان.. فلما استتب الأمر لمعاوية بعث إليهم قيس بن السلمى وولاه خراسان فأخضع من نقض العهد وصالحه أهل بلخ وهراة"، البلاذرى: المصدر السابق، ص255. محمد حميد الله الحيدر آبادى: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة، القاهرة 1956، ص331، وثيقة (343) وانظر حسن أحمد محمود الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى، دار الفكر العربى، 1998، ص30-31. مدينة مشهورة بخراسان من أجل مدنها وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة. ياقوت: معجم البلدان، ج 1، ص479-480. محمد على الباز: المسلمون فى الاتحاد السوفيتى، دار الشروق، جدة 1983، ص 560.

(42) خليل عبد المجيد أبو زيادة: مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز، 1993، بحث عن جمهورية تاجيكستان الإسلامية ماضيها وحاضرها، ج2، ص276-277.

(43) محمد أمان صافى: المرجع السابق، ص30 وانظر خليل الله خليلى: المرجع السابق، ج1، ص23، وعباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، القاهرة 1990، ص15، عصام عبد الرازق: الدول

المستقلة، دار الفكر، 1999، ص32-35، حسن محمود: المرجع السابق، ص58. وفاروق حامد بدر: المرجع السابق، ص25، دائرة المعارف الإسلامية، أريتريار أكدرية مركز الشارقة للإبداع الفكرى، 1998، ط1، ج3، ص891-896.

(44) البيهقى: تاريخه، ترجمة يحيى الخشاب وآخرين، القاهرة 1982، ج2، ص50، انظر محمد أمان صافى: المرجع السابق، ص30، عصام عبد الرؤوف: الدول المستقلة فى الشرق، دار الفكر 1987، ص35-39، خليل الله خليلى: المرجع السابق، ج1، ص28.

(45) الاسفزازى: المصدر السابق، ص382، عصام عبد الرؤوف: المرجع السابق، ص41-47، خليل الله خليلى: المرجع السابق، ج1، ص28-29.

(46) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، بولاق 1274، ج8، ص247، البيهقى: تاريخه، ص50-51، الاسفزازى: المصدر السابق، ص382، عصام عبد الرؤوف: المرجع السابق، ص101-138، محمد أمان صافى: المرجع السابق، ص30-31، حسن محمود: المرجع السابق، ص189، محمد عبد العظيم أبو النصر: تاريخ المسلمين وحضارتهم فى آسيا الوسطى، الزقازيق، 2001، ص96-99.

(47) البيهقى: المصدر السابق، ص51، عصام عبد الرؤوف: المرجع السابق ، ص138، 159. وهى قبائل تركية لقبت لهذا الاسم نسبة إلى زعيمها سلجوق بن دقاق كما عرفت باسم الغز وقد استوطنت هذه القبائل الهضاب الغربية من بحيرة خوارزم "بحر آرال" ونزلت فى الهضاب المحيطة بنهرى سيحون وجيحون، كما نزلت بالقرب من الشواطئ الشرقية لبحر قزوين وتحت زعامة رئيسهم سلجوق هاجرت جحافل منهم نحو بلاد ما وراء النهر 375هـ/ 985م وأقاموا إلى جوار السامانيين يساعدونهم فى القضاء على الترك الكفار، كما ساعدوهم فى حروبهم مع الغزنويين مما أتاح للسلاجقة فرصة السيطرة على الجزء الخصيب من بلاد ما وراء النهر عفاف صبرة: المرجع السابق، ص29-30. محمد عبد العظيم أبو النصر: تاريخ المسلمين وحضارتهم فى آسيا الوسطى، القاهرة 2001، ص99-104.

(48) الراوندى: راحة الصدور وآية السرور، ترجمة د. إبراهيم الشواربى ود. عبد النعيم حسنين ود. فؤاد عبد المعطى الصياد، دار القلم، القاهرة، د.ت، ص267-280، عفاف صبرة: التاريخ السياسى للدولة الخوارزمية، ص31.

(49) تقع بلاد الغور فى أفغانستان الحالية بين هراة وغزنة، Ali, M.A.A.: History of Indo-Pakistan. Dacca. 1970، وكان الغور لا يدينون بالإسلام حتى غزاهم السلطان الغزنوى محمود بن سبكتكين 401هـ/ 1010م. عصام عبد الرؤف: المرجع السابق، ص334.

(50) المرجع السابق، ص98-114.

(51) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، بيروت، دار صادر، ج11، ص151، ص170-171، و311، 316.

(52) ابن الأثير: المصدر السابق، ج12، ص173-178، ص185، 208-209، 260-264.

(53) عطا ملك الجوينى: فى تاريخ جهاشكاى- فاتح العالم، ترجمة وتحقيق د. فؤاد الصياد، د.ت، ج4، ص379، عفاف صبرة: المرجع السابق، ص115-119، محمد عبد العظيم أبو النصر: المرجع السابق، ص110-124.

(54) ابن الأثير: المصدر السابق، ج12، ص390-393، عبد السلام فهمى: تاريخ الدولة المغولية فى إيران، القاهرة 1981، ص9.

(55) الهمذانى: جامع التواريخ، ترجمة عن الفارسية محمد صادق نشأت، فؤاد عبد المعطى الصياد، مصر، د.ت، م2، ج1، ص165. وانظر عبد السلام فهمى: المرجع السابق، ص9، حافظ حمدى: الدولة الخوارزمية، دار الفكر 1949، ص108. وراجع محمد على البار: المرجع السابق، ج1، ص 293-305.

(56) زبيدة عطا: بلاد الترك فى العصور الوسطى، دار الفكر العربى، ص130-136، فؤاد عبد المعطى الصياد: الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين، قطر 1987، ص66.

(57) فؤاد عبد المعطى الصياد: المرجع السابق، ص66.

(58) وهى كلمة تعنى الملك الأعظم أو ملك الملوك. راجع فؤاد عبد المعطى الصياد: المرجع السابق، ص11 وما بعدها.

(59) عفاف صبره: المرجع السابق، ص152-153، وفؤاد الصياد: المرجع السابق، ص14-15.

(60) قراقورم: موضعها الآن يحدده دير قائم يسمى إردني- تسو وهى على الشاطئ الأيمن لنهر أرخون Orkhon على بعد نحو 360 كم جنوب غرب أورجا Urga فى منغوليا الخارجية Outer Mangollac. ابن بطوطة: الرحلة، ص644 هامش 57.

(61) الياسا أو اليساق أو اليسق، أصله سى بيا، وهو لفظ مركب من كلمتين: (س) بمعنى ثلاثة بالفارسى (بيان) بمعنى التراتيب بالمغولى، وعلى ذلك فمعنى اليساق هو التراتيب الثلاثة، وسبب ذلك أن جنكيز خان كان قد قسم ممالكه فى أولاده الثلاثة وأوصاهم يقولون: س (بيا) ثم حرفوها إلى يسق. ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج7، ص183. والقلقشندى: صبح الأعشى، القاهرة، 1914، ج4، ص311. وعصام عبد الرؤوف: المرجع السابق، ص205.

(62) فؤاد الصياد: المرجع السابق، ص15-16. وموريس كروزيه: تاريخ الحضارات العام، المجلد الثالث، د.ت، ص558-560.

(63) أ. ج أربرى: تراث فارس، ص185-186.

(64) النسوى: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى، تحقيق حافظ أحمد حمدى، القاهرة 1953، ص44-46. أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، صيدا 1959، ج3، ص143، المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ق1، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة 1936، ص218. والقزاز: الحياة السياسية فى العراق فى العصر العباسى الأخير، بغداد، 1971، ص28.

(65) عفاف صبره: المرجع السابق، ص155.

(66) النسوى: المصدر السابق، ص85-86، وفؤاد الصياد: المرجع السابق، ص25.

(67) النسوى: المصدر السابق ص88-91، وفؤاد الصياد: المرجع السابق، ص25.

(68) وتصف رواية بخارى تحترق للمؤلف ياوز بهادر أوغلى مدى العنف والوحشية والقسوة التى اتصفت بها سياسة جنكيز خان وجنوده فى المدن التى اجتاحوها. ياوزبهادر أوغلى: بخارى تحترق، دراسة تحليلية، إعداد: عبد العزيز محمد عوض الله، مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز، ج

3، م6، ص232، 248: 256، 259: 260، وهذا الاسم Yavuz Bahadir Dglu هو الاسم المستعار الذى نشر به العديد من المؤلفات الأخرى واسمه الحقيقى نيازى برنجى Niyazi Birinci وهو كاتب قروى ولد فى قرية "حصارلي" Hisari التابعة لقضاء "بازار" Pazar وكان مولده فى أوائل عام 1945 وبدأ فى خوض تجربة كتابة القصة والرواية للمرة الأولى وهو لم يزل فى المرحلة الإعدادية ثم فى 1971 التحق بجريدة فى استانبول وقام بالكتابة فى مختلف المجالات الصحفية والأبحاث والدراسات والقصصى والحكايات ووصل عدد رواياته إلى ثلاثين رواية حازت أعجاب القراء.

(69) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص ، أرمنيوس فامبرى: تاريخ بخارى، ص170، Brown, EQ. The literary history of Persia London, 1906, P. 560.

(70) خليل الله خليلى: المرجع السابق، ج1، ص32، هدى درويش: المرجع السابق، ص10، وأرمنيوس فامبرى: المرجع السابق، ص174.

(71) محمد أمان صافى: المرجع السابق، ص44-45، وحين سئل أحد الفارين من المغول عما صار إليه أمر مدينته، أجابهم عن ذلك بأن أنشد بيتاً بليغاً من الشعر الفارسى قائلاً:

آمد وكندند وسوختند ❊❊❊ وكتشند وبردند ورفتند

ترجمته: قدموا فدمروا وأحرقوا ❊❊❊ وقتلوا ونهبوا ثم رحلوا

أرمينوس فامبرى: تاريخ بخارى، ص172، 176، 183.

(72) زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ترجمة زكى محمد حسن وآخرون، القاهرة 1952، انظر خليل الله خليلى: المرجع السابق، ص34.

(73) الإسماعيلية: إحدى فرق الشيعة ويقولون بإثبات الإمامة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، ويرون أنه أحق بالإمامة من أخيه موسى الكاظم، ومن أهم مبادئهم إيمانهم بالإمامة لأن العقل وحده يقصر عن الوصول إلى معرفة الله معرفة حقة، ولذلك يرون أنه لابد أن يعرف الناس إمامهم وأن يبايعوه، ومن أهم الأسس التى يقوم عليها مذهبهم إيمانهم بأن للعقيدة ظاهراً وباطناً، وللتنزيل معانٍ ظاهرة يعرفها الناس وأخرى باطنه يعرفها الإمام، ولذلك سموا أيضاً بالباطنية. انظر الشهرستانى: الملل والنحل، القاهرة 1948، ج1، ص191-192، ونشروا دعاتهم فى أرجاء البلاد وأتيح لهم أن يقيموا دولة القرامطة سنة 287هـ/ 891م، وبسطوا سلطانهم على كثير من مدن الشام والعراق وعمان والبحرين، كما استولوا على مكة، وظلوا يبعثون الرعب فى تلك النواحى، كما استطاعت طائفة من الإسماعيلية أن تصل إلى شمال إفريقية وأن تنجح فى عام 269 هـ/ 908م فى إقامة الدولة الفاطمية التى امتدت نفوذها إلى بغداد نفسها، أما فى إيران فقد انتشر نفوذ الإسماعيلية فى بعض أجزائها إلى أن تطور الأمر فى عام 483هـ/ 1097م إلى أن تمكن الحسن الصباح من تكوين قوة كبيرة من الأتباع فى إيران واستطاع بهذه القوة الاستيلاء على قلعة (ألموت) فى عام 483هـ/ 1090م وكوّن له دولة وكثر مريدوه واتخذ الإسماعيلية طريق اغتيال أعدائهم من القواد والأمراء والخلفاء والسلاطين مما أقلق الدولة السلجوقية وانتهى الأمر بقتل الوزير نظام الملك وزير السلطان ملكشاه على أيدى هؤلاء الإسماعيلية عام 485هـ/ 1092م. ابن الأثير:

المصدر السابق، ج10، ص76، وعبد النعيم حسنين: سلاجقة العراق، القاهرة، 1959، ص69-70، د. حسن أحمد محمود، د. أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، دار الفكر، 1995، ص461-462، عصام عبد الرؤف: الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى، دار الفكر، 1998، ص190-192.

(74) خليل الله خليلى: المرجع السابق، ص34-35، انظر محمد عبد القادر أحمد: المسلمون فى أفغانستان، القاهرة 1984، ط1، ص21.

(75) الثقافة العربية الإسلامية فى بلاد الفرس من بعد العصر العباسى وحتى بداية العصر الصفوى، بحث منشور بمجلة معهد الدراسات العربية بعنوان: العلاقات العربية الإيرانية 1993، ص 313.

(76) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(77) محمد على البار: المرجع السابق، ص419، فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص125.

(78) شيرين عبد النعيم: المرجع السابق، ص313.

(79) أشهر مدن أذربيجان وهى مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة بالأجر والجص وفى وسطها عدة أنهار جارية والبساتين محيطة بها. ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص13.

(80) مدينة كبيرة ضخمة بالقرب من خراسان كثيرة الفواكه والمياه والطواحين وبها مشهد الرضا وهو على ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب وغيره من المشاهد المشهورة. ابن بطوطة: الرحلة، ص401.

(81) شيرين عبد النعيم: المرجع السابق، ص314

(82) الإيلخانيين: تطلق كلمة الخان على خان القبيلة وتدل على أن حاملها داخل فى ولاء وطاعة القامات ومدين لهم بالطاعة وأطلق على كل حاكم مغولى فى إيران، وأيضاً الخان بمعنى نائب الخان، وعلى ذلك فإن الإلخانية هى المملكة التابعة للخانية التى يحكمها الخان الأعظم. فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص28، عصام عبد الرؤوف: الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى، ص205، رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام بين المغول، القاهرة 1986، ص4.

(83) شيرين عبد النعيم: المرجع السابق، ص314، فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص28.

(84) نسبة إلى اللون الذهبى الذى اشتهرت به مخيماتها Golden Horde. المقريزى: المصدر السابق، ج1، ص294، والرمزى: تلفيق الأخبار وتلقيم الآثار فى وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، طبعة أورنبوغ، 1908.

(85) القفجاق أو القبجاق هم فرع من الترك مساكنهم الأصلية حوض نهر إرتش، وقد تنقلوا حتى استقروا بحوض نهر أتل (الفلجا) فى جنوب روسيا الحالية فعرفت تلك الجهة باسم القبجاق، القلقشندى: صبح الأعشى، ج4، ص451، 456، 466-468.

(86) المقريزى: المصدر السابق، ج1، ص294.

(87) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص125.

(88) ابن الساعى على بن انجب: تاريخ الخلفاء العباسيين، تقديم عبد الرحيم يوسف الجمل، القاهرة 1993، ص162-163، الهمذانى: جامع التواريخ، ج2، ص125، 970.

(89) راجع فؤاد عبد المعطى الصياد: الشرق الإسلامى، ص54-56. ومصطفى بدر: مغول إيران بين المسيحية والإسلام، القاهرة، د. ت ، ص7.

(90) محمد عبد الغنى الأشقر: اعتناق هولاكو أيلخان التتار الإسلام، بحث منشور بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد رقم 41 سنة 2001-2002، ص11-21.

(91) عصام عبد الرؤوف: المرجع السابق، ص205.

(92) الأمير سيف قلاوون الألفى العلائى الصالحى النجمى وتلقب بالمنصور وقد ظلت السلطنة فى أبنائه وأحفاده حتى انتهاء دولة المماليك البحرية سنة 784هـ/ 1382م، وكان له باع كبير فى إخراج الصليبيين من بلاد الشام، وكذلك أبعد أذى التتار عن مصر والشام، وسمى بالألفى لأن الأمير علاء الدين أقسنقر – أحد مماليك العادل أبى بكر الأيوبى – اشتراه بألف دينار. ولما مات الأمير علاء الدين، انتقل قلاوون إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب فأصبح لقبه "الألفى العلائى الصالحى النجمى أبو الناصر محمد"، وكان أحد زعماء البحرية البارزين وتقرب من الناس إلا أن بعض المؤرخين قد أخذ عليه حبه لجمع المال. انظر ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات، ج2، ص134، وابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة، القاهرة 1972، ج7، ص 327، وسعيد عاشور: مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك، بيروت، ص211-212.

(93) المقريزى: السلوك، ج1، ص422، 423، 430، 431، 442، وانظر ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج7، ص79، 80، 298، ج8، ص 96، 97، 136-139.

(94) سعيد عاشور: العصر المماليكى فى مصر والشام، ط2، القاهرة 1976، ص224، و فؤاد عبد المعطى الصياد: الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين، ص 41-42. و حياة ناصر الحجى: العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثانية، 1981، الرسالة الثانية تاريخ.

(95) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص238. وللمزيد عن هذا الخان راجع: فخر الدين أبو سليمان البناكتى: روضة أولى الألباب فى معرفة التواريخ والأنساب المعروف بتاريخ بناكتى، تحقيق جعفر شعار، طهران، 1348هـ، ص 450-472.

(96) فؤاد عبد المعطى الصياد: المرجع السابق، ص 200، وشيرين عبد النعيم: المرجع السابق، ص 314-317.

(97) الهمذانى: جامع التواريخ، ج2، م2، ص6، 7، 24، 25، القلقشندى: صبح الأعشى، مصر، د.ت، ج4، ص311-312.

(98) رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص65-66.

(99) ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول، بيروت، 1890، ص475، الهمذانى: المصدر السابق، م2، ج1 ، ص292، ج2، ص6، 98، 124-125.

(100) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(101) المقريزى: المصدر السابق، ج1، ص294، الرمزى: تلفيق الأخبار وتلقيم الآثار فى وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، طبعة أورنبوغ 1908، ج1، ص402.

(102) أبو الفدا: تاريخه، ج4، ص61.
(103) المصدر السابق، ص93.
(104) القلقشندى: صبح الأعشى: ج4، ص426.
(105) ابن العبرى: المصدر السابق، ص500.
(106) محمد السعيد جمال الدين: علاء الدين عطا ملك الجوينى، القاهرة 1982، ص5-20، وأحمد محمود الساداتى: تاريخ جهانشكاى، مجلة تراث الإنسانية، عدد 2، المجلد الرابع، مصر 1966م، ص118-120.
(107) الهمذانى: المصدر السابق، ج1، م حـ، ص338.
(108) Saunders: J.J. A History of the Mongol Conquests, London, 1971. P. 32.
(109) الهمذانى: المصدر السابق، ج1، م2، ص84.
(110) العمرى: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 559 معارف عامة، ج16، ق3، ورقة 50.
(111) ابن بطوطة: الرحلة، 200-202، 204، 219، ويذكر أن ابن بطوطة نزل أثناء تجواله فى آسيا الصغرى فى بعض زوايا الأحمدية فى مدينة أزمير وبرغمه، حيث وجد أمير أزمير ومشايخها يقومون بمساعدة الفقراء والصوفية. محمد عبد الغنى الأشقر: مرجع سابق، ص19. ويقال إن هولاكو صرح لفئة الطريقة الرفاعية فقط بإسلامه، نفسه، ص21.
(112) رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص92، وهدى درويش: المرجع السابق، ص34-37.
(113) بارتولد: تاريخ الترك، ص258.
(114) رجب عبد الحليم: المرجع السابق، ص92.
(115) ابن بطوطة: الرحلة، 200، 201.
(116) رجب عبد الحليم: المرجع السابق، ص93-94.
(117) محمد على البار: المرجع السابق، ج1، ص391.
(118) العمرى: التعريف بفن المصطلح الشريف، القاهرة 1910، ص 165.
(119) رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص242-243.
(120) ابن تغرى بردى: النجوم، ج11، ص254-255.
(121) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص420-422.
(122) ابن تغرى بردى: ج11، ص261-268، ج12، ص50-56.
(123) ول ديورانت: قصة الحضارة، ص69-71.
(124) المرجع السابق، نفس الصفحات.
(125) شيرين عبد النعيم: الثقافة العربية، ص326.
(126) موريس كروزيه: تاريخ الحضارات العام، المجلد الثالث، د. ت، ص561، زكى محمد حسن: فنون الإسلام، القاهرة 1948، ص179.
(127) ول ديورانت: المرجع السابق، ص70-71.

(128) أ. ج. أربرى: المرجع السابق، ص160.

(129) زكى محمد حسن: التصوير فى الإسلام، بيروت، د.ت، ج6، ص38-39، والفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى، القاهرة 1964، ص96-97. أبو الحمد محمود فرغلى: التصوير الإسلامى، الدار المصرية اللبنانية – القاهرة 1991، ص244-245.

(130) بهزاد: هو كمال الدين بهزاد، ولد فى هراة سنة 844هـ/ 1440م، درس فى تبريز ثم عاد إلى هراة ليرسم للسلطان حسين بايقرا ووزيره مير على شيرنوائى، وكان بهزاد من أوائل المصورين الفرس الذين وقعوا على أعمالهم. من أشهر تلاميذه قاسم على وشيخ زاده ومحمود مذهب وأقاميرك وسلطان محمد، محمد مصطفى: صور من مدرسة بهزاد، فى المجموعات الفنية فى القاهرة، ترجمة أحمد محمود عيسى، ألمانيا الغربية 1959، ص9، انظر الملاحق.

(131) محفوظ فى مكتبة شستربيتى بدبلن تحت رقم 119، أبو الحمد فرغلى، المرجع السابق، ص261.

(132) محفوظة فى متحف طوبقا بوسراى باستانبول تحت رقم 1022، وتشتمل على خمس وعشرين صورة ملونة لا تقل فى جمالها وروعتها عن صورة شاهنامة بايسنقر ، المرجع السابق، ص265.

(133) محفوظة فى الجمعية الأسيوية الملكية بلندن تحت رقم 239، المرجع السابق، ص273.

(134) سعاد ماهر: الفنون الإسلامية، القاهرة، 1986، ص174. وزكى محمد حسن: فنون الإسلام، ص179-180.

(135) زكى محمد حسن : فنون الإسلام، ص182.

(136) زكى محمد حسن: المرجع السابق، ص182-183.

(137) المرجع السابق، ص121.

(138) زكى محمد حسن: فنون الإسلام، القاهرة، 1948، ص57.

(139) منظومة فى العشق نظمها 732هـ الشاعر كمال الدين أبى العطاء محمود بن على الكرمانى الذى عرف بخواجو، ولد 679 هـ. انظر براون: تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى، ترجمة د. إبراهيم أمين الشواربى، القاهرة، 1954، ج3، ص223.

(140) زكى محمد حسن: المرجع السابق، ص183، وراجع شكل 115 فى نفس المرجع ص 181.

(141) زكى محمد حسن: المرجع السابق، ص187-188، ومن الجدير بالذكر أن معظم الصور الإيرانية فى القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى تنسب عادة إلى هراة لأن هذه المدينة كانت أهم ميدان لفن التصوير فى ذلك العصر.

(142) سهير بيومى: هراة وشعراؤها، ص122-123.

(143) المرجع السابق، ص124.

(144) محمد مصطفى: صور من مدرسة بهزاد فى المجموعات الفنية بالقاهرة، ص6-8.

(145) زكى محمد حسن: مرجع سابق، ص48، والفنون الإيرانية، ص96-99.

(146) محمد مصطفى: صور من مدرسة بهزاد، لوحة رقم 1 و2 بالألوان.

(147) م. س. ديماند: الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة أحمد فكرى، القاهرة 1960، ص56، زكى محمد حسن، مرجع سابق، ص50-52.

(148) زكى محمد حسن: الفنون الإيرانية، ص97.
(149) زكى محمد حسن: التصوير فى الإسلام عند الفرس، القاهرة، 1936، ص50.
(150) Martin (F.R.) The miniature painting and painters of Persia, India, and Turkey from the 8th to the 18th century. Vol. 1 London 1912. p. 49.
(151) Album de l'Exposition d'Art persane, Cairo, 1935. p. 135.
(152) محمد مصطفى: صور من مدرسة بهزاد فى المجموعات الفنية فى القاهرة، ترجمة أحمد محمد عيسى، ألمانيا الغربية، 1959، ص64.
(153) خليل الله خليلى: هراة، ص92.
(154) ول ديورانت: قصة الحضارة، ص72.
(155) المرجع السابق، ص72.
(156) موريس كروزيه: تاريخ الحضارات، ص561. سهير بيومى: مرجع سابق، ص129.
(157) شاعر إنجليزى مشهور. ول ديورانت: قصة الحضارة، ص72.
(158) د. زكى محمد حسن: الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى، ص42
(159) المرجع السابق، ص44.
(160) دهلى أو دهلى عاصمة الهند فى مختلف العصور ويطلق اسم دهلى على عدة مدن أقيمت فى مواقع متجاورة على الضفة اليمنى لنهر جمنه قبل التقائه بالكنج، ويرجع أقدم هذه المدن إلى زمن الهجرة الآرية. ويمكن تمييز مدينتين بهذا الاسم، مدينة دهلى التاريخية ومدينة دهلى الحديثة، القاموس الجغرافى الإسلامى، ج2، ص399.
(161) شيراز بلد عظيم مشهور وهو قصبة بلاد فارس فى الإقليم الثالث. بينها وبين نيسابور مائتان وعشرون فرسخاً ذمها بعضهم بضيق الدروب وتدنى الرواشين فى الأرض وقذارة البقعة وضيق الرقعة وإنشاء الفساد وقلة احترام أهل العلم والأدب. ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص 380.
(162) زكى محمد حسن: فنون الإسلام، ص102.
(163) ول ديورانت: المرجع السابق، ص67-68.
(164) زكى محمد حسن: فنون الإسلام ، ص105.
(165) المرجع السابق، ص107-110.
(166) ول ديورانت: المرجع السابق، ص67-68.
(167) المرجع السابق، ص68-69.
(168) المرجع السابق، ص69.
(169) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة إحياء دار الكتاب العربى، د.ت، ص52.
(170) أرمنيوس فامبرى: المرجع السابق، ص289.
(171) عباس إقبال:المرجع السابق، ص621.

(172) خليل الله خليلي: المرجع السابق، ص54.
(173) أبو العينين: المرجع السابق، ص326. وخليل الله خليلي: المرجع السابق، ص58.
(174) المرجع السابق، ص328-330.
(175) خليل الله خليلي: المرجع السابق، ص62-63.
(176) محمد مصطفى: المرجع السابق، ص210.
(177) خليل الله: المرجع السابق، ص65.
(178) شيرين عبد النعيم: المرجع السابق، ص328.
(179) سهير بيومى: المرجع السابق، ص172.
(180) عباس إقبال: المرجع السابق، ص326.
(181) زكى محمد حسن: الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى، ص45-46، انظر ملاحق البحث.
(182) المرجع السابق، ص55.
(183) نفسه ، ص60.
(184) ول ديورانت: المرجع السابق، ص70-71.
(185) المرجع السابق، ص72.
(186) زكى محمد حسن: فنون الإسلام، ص273-286.
(187) المرجع السابق، ص615-616.
(188) زكى محمد حسن: الفنون الإيرانية، ص368-369.
(189) زكى محمد حسن: فنون الإسلام، ص563-564.
(190) Pope Arthur Upham: A Survey of Persion Art Oxford, 1938, VL. P. 1377.
(191) زكى محمد حسن: الفنون الإيرانية، ص248.
(192) زكى محمد حسن: الفنون الإيرانية، ص219.
(193) المرجع السابق، ص223.
(194) نفسه، ص222.
(195) زكى محمد حسن: الفنون الإيرانية، ص157-159، وفنون الإسلام ، ص402-404، أ. إدواردز: الأبسطة الإيرانية، ترجمة أحمد محمد عيسى، ص280-281، انظر ملاحق البحث.
(196) ارمنيوس فامبرى: تاريخ بخارى، ص294.
(197) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(198) المرجع السابق، نفس الصفحة، هامش (2).
(199) سهير بيومى: هراة وشعراؤها، ص181.
(200) المرجع السابق، ص123.
(201) المرجع السابق، ص124.
(202) فامبرى: تاريخ بخارى، ص294.
(203) فامبرى: المرجع السابق، ص254-256.

(204) سهير بيومى: المرجع السابق، ص179.
(205) المرجع السابق، ص174.
(206) سهير بيومى: المرجع السابق، ص174-176.
(207) فامبرى: المرجع السابق، ص24.
(208) المرجع السابق، ص287-288.
(209) بارتولد: تاريخ الترك، ص251-252.
(210) فامبرى: المرجع السابق، ص285.
(211) بارتولد: المرجع السابق، ص251-253.
(212) بارتولد: المرجع السابق، ص251-252.
(213) أبو العينين فهمى محمد: المرجع السابق، ص263.
(214) فامبرى: المرجع السابق، ص288-290.
(215) سهير بيومى: المرجع السابق، ص195-196.
(216) المرجع السابق، ص197.
(217) المرجع السابق، ص197-198.
(218) أبو عبيد الله أحمد بن محمد بن محمد الهروى، راجع ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص95، معجم الأدباء: ج4، ص260، طبقات السبكى: ج3، ص34، الحميرى: الروض المعطار، ص 595.
(219) سهير بيومى: المرجع السابق، ص185.
(220) المرجع السابق، ص200-201.
(221) سهير بيومى: المرجع السابق، ص183-184.
(222) فامبرى: المرجع السابق، ص287-288.
(223) د. عبد النعيم محمد حسنين: العلاقات الثقافية بين العرب والفرس حتى نهاية العصر العباسى. بحث منشور فى مجلة معهد البحوث والدراسات العربية بعنوان: العلاقات العربية الإيرانية، 1993م، ص284.
(224) نفسه ص292-295.
(225) أ.ج. أربرى: تراث فارس، ص185-186.
(226) كارل بروكلمان: المرجع السابق، ص423.

* * *